معابر دافئة

مجموعة قصصية

تأليف
زهراء كشان

عنوان الكتاب : معابر دافئة

الموضــــوع : مجموعة قصصية

التــأليـــــف : زهراء كشان

مراجعة لغوية : عمرو سواح

الإخراج الفنيّ : عمرو سواح

تصميم الغلاف : عمرو أنور

الطبعة الأولى : ٢٠١٨

رقم الإيداع : ١٧٧٢٠ /٢٠١٨

الترقيم الدوليّ : ٤-٦٧٨-٧٧٦-٩٧٧-٩٧٨

Facebook Page: دار بنت الزيات للنشر والتوزيع

E_mail: shahnda71@gmail.com

Tel :01066736765

01227996423

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة © لدار بنت الزيات

المشهرة قانونًا بسجلّ تجاريّ رقم /٤٩٣٥١

الجيزة دائري - نزلة شارع القومية العربية - برج النور - الدور ٨

كلمة الناشر

الحلم مثل الحب، لا يمكن أن يفهمه إلا من مرَّ به وعاشه، فالطموح معقودٌ لديك في الوتين، إن وجدته وعثرت عليه.. تمسك به ولا تترك أطرافه، فالطرف عادةً هو ما سيصل بك إلى طريق إنقاذك من الجهل والاندثار؛ فالقراءة ارتقاء، والحروف عطاء، ولكي تجعل لك قيمة.. لا تنحنِ رغم أي ظروف، ولا تطأطئ رأسك لليأس، واغزل من الإصرار الأمل في الله قلائد من لؤلؤ، تتزين بها على مدى خطواتك.

د/ شاهندة الزيات

مُقَدِّمَة

مع متناقضات الحياة المثيرة بالضياء والأضواء تتجلى (معابر دافئة)، مجموعة قصصية مجنحة في فضاءات فكرية تلقي الضوء على أحداث اجتماعية ترقى إلى العاطفة، تختصر سحر الكلمات من أعماق الذات إلى روح الوطن، مغمورة بالألوان والأسحار، فتعبق نفس القارئ مسكًا وعطرًا وعنبرًا يسافر بخياله إلى حدود الشمس، ترحل رفقة المعابر الدافئة في رحلة سرمدية لا يوجد فيها بين الحقيقة والخيال والحلم والأمل إلا خيوطٌ رفيعة تنسج من السندس حدود الوطن وتكتب بحروف ناعمة قصصًا بين دمعة وابتسامة بكل ما فيها من إيحاءات إنسانية راقية، عناصر تشويق، مشاعر مرهفة، عواطف مهذبة لا متناهية وراء سراب أزرق صامت، بين طيات الزمن تتسرب الأحداث، وبين أكف الأيام تنسج النهايات في ابتهاج، يحلق الخيال قرب سماء برقت فيها نجوم لامعة، وتتداخل الأفكار تحت غيمات وردية باسمة، في ظلٍ هفهاف تهمس الكلمات العذبة المخضلة بقطر الندى، تتعانق أغصان الريحان، تتفتح أزهار النرجس والأقحوان باسمة، تترنح الوقائع من أريج واقع أحببته إلى عبير خيال تمنيته، وبين سراب دافئ وسراب حالم تتمدد جسور عبور إلى الأفق الملون بألوان الربيع تنثر على بقايا العمر الجميل أوراق السوسن الزهري، ينقضي النهار وينجلي يوم آخر على شذى حكاية أمس، تتجدد الأحداث والمواقف والرؤى بالحب وبالرونق وبالبهاء على جسور عسجدية عربية، تتشابك المرافئ والمحطات لترسم بالورد والحلم والخير والجمال أسمى معابر دافئة مؤدية إلى روح الإنسان متدفقة كتدفق أشعة الشمس فوق الطلول.

المؤلفة : زهراء كشان

قصص قصيرة بعنوان: معابر دافئة

خلف ستور الدّجى

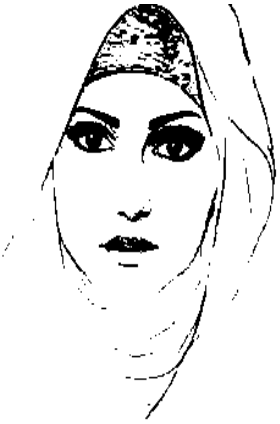

طوت الأيام صفحات كثر لتلتقي به مصادفة على حافة العمر، نفّذا وعدًا قد مضى.

أنجبت "أماني" بنتًا سمتها "رياحين"، صبية جميلة الملامح، نمت كزهرة برية بين أحضان والديها مدللة، معربدة، متعجرفة، تحب والدتها في وقت تصاحبها وتجاريها، وتقسو عليها وتنفر منها حين تنصحها وتنهاها وتمنعها.

تثور "رياحين"، تتحدى، تنفذ رغباتها على حساب الجميع.

تتضرع الأم لخالق الكون أن يرفع عن ابنتها غشاوة الضلال، ما

زالت تدللها بلطف، بقبلة وبلين تحذرها من صديقاتها، لكنها تبالغ في مصاحبتهن.

ذات يوم هبط الصباح...انحدر قرص الشمس بحياء ليتوسط أديم السماء، وفي وقت مبكر من غير عادتها رجعت "رياحين" أدراجها من الثانوية بوجهٍ كئيبٍ تعلوه بسمة خافتة مخضوبة بالخجل، أخبرت أمَّها أنها طُردت من المؤسسة، تأكدت الوالدة أنها لا تستطيع إعادتها إلى مقعد الدراسة لأعذار سابقة، أنَّبَتها، اختفت في غرفتها تناجي عتمة الحدث الرهيب، ابنتها الوحيدة تهزم وتنزلق مع المنعرجات وهي لا تستطيع إنقاذها.

رمت "رياحين" بجسدها المثقل على أقرب مقعد في حديقة المنزل، والعبرات تتساقط كاللآلئ على وجنتيها المتوردتين، تورمت عيناها من كثرة البكاء، تهمس لنفسها همسًا يرافقه الندم، وقد تسرب إليها هفيف الحقيقة عبر النوافذ المغلقة قائلة: "صديقتي أميرة تُخفي اللؤم وراء بسمات كاذبة، وصداقة واهية تشكمها الغيرة، لم أكن مواظبة، تغيبت وتأخرت، ضيعت أنشطة مهمة، في آخر المطاف ألفظ إلى الشارع كما تلفظ قمامات

البيوت".

رن الهاتف فقطع حبل مناجاتها لمرآة عكست أفعالها الرديئة، رمقت الأرقام الغريبة التي لا يحفظها هاتفها، انتابها شعور غريب امتزجت فيه الرغبة في الانسحاب والشغف بالمغامرة، علت بداخلها ضوضاء عارمة بين الإقدام والامتناع، مسحت دموعها، ردت بهدوء، إنها إحدى الرفيقات تذكرها بموعد سابق، تشابكت المشاعر المتصارعة على حافة روح منهارة، خرجت مهرولة، تأخرت وقد أرخى الليل ستاره على الكون.

في لحظة ضائعة توقف الزمان لتتوقف معه سيارة مجهولة أمام المبنى، وضعت جسد "رياحين" بأنفاس ضعيفة، دق جرس الباب، انطلقت السيارة إلى اتجاه مجهول، فتح الأب الباب، تبلسم، باندهاشٍ تفرس جسد ابنته مرميًّا في مدخل الحديقة، ابنته فاقدة الوعي، بذعر حملها.

كلمات الطبيب كانت مطمئنة لكن نظراته المريبة المحدقة بقوة في وجه "أماني" أثارت تساؤلات حائرة، تنهدت بعمق تبحث عن الحقيقة خلف ستور الدجى، تتمتم بكلمات متناثرة، ألقت بنظرة ثاقبة تجاه فلذة كبدها

التي التحفت برداء رماديّ ورقدت كملاك أبيض، جلست والدتها على مقعد مقابل بقلب جريح.

تسابقت مع لحظة الشروق وسبقتها ليعلو صوتها المبحوح في زوايا الغرفة:

"رياحين، ابنتي، الحمد لله على سلامتك".

بعد أن فتحت "رياحين" عينيها وأغلقتهما، استعادت الحياة، أفاقت، امتد بصرها إلى أبعد الحدود، حدقت في والدتها مليا، أشفقت عليها، ندمت على سوء معاملتها لها، رأت فيها امرأة متألقة تسربلت بثوب الوقار، طالما رفعت رأسها عاليا لتجمع نجوم السماء وتصنع منها عقدًا لابنتها الوحيدة، لكن عواصف الخريف حالت دون ذلك، نظرت بعمق في وجهها الشاحب وقد رسم عليه الزمن تجاعيد مبكرة.

تبادلتا نظرات الأسى، لم تنبس أماني بكلمة، في صمت مترع بالكلام حملت جسدها المثقل بالهموم وراحت لتحضر كأس حليب ساخن لابنتها، مشت ببطء، ابتعدت، تدانت، تعثرت، سقطت.

تألمت "رياحين"، قفزت من سريرها، احتضنت والدتها التي كانت

جثة هامدة، رحلت دون وداع، رحلت هروبًا من تمرد ابنتها ومن تساؤلات المحيطين بها، هروبا من كل شيء، لترقد في العالم الآخر مرتاحة.

مرت أيام وأسابيع وشهور، في ليلة بائسة احتجبت فيها النجوم خلف غيمات متلبدة، أمطرت السماء واشتدت الرياح، انقطع التيار الكهربائي، أسدلت ستائر الدياجير.

تسللت إلى الغرفة وحشة متأججة بالحزن، رياحين وحيدة في غرفتها الكئيبة، تملكها الخوف، مدت يديها المرتجفتين إلى الشمعدان وأشعلت شمعة، تراخت بجسدها المنهك إلى أقرب أريكة، ذرفت دموعًا جابت ممرات الذاكرة، في أحد الممرات التقت بطيف والدتها مبتسمًا، مهدئًا من روعها، الدموع تذرف على وجنتيها قائلة : "افتقدتك يا أمي وأنتِ مؤنستي الوحيدة في أغلاس هذه الحياة".

في بحر راكد ربضت على أمواج يتيمة، نادمة، تستحضر أحداثًا بائدة، أطبقت جفونها، فتحتها من جديد، التفتت إلى طاولة كانت على مقربة منها، وضعت عليها مذكرة والدتها التي كانت أثمن ما ورثت،

داعبتها بأناملها، حملتها، قلبت صفحاتها على ضوء الشمعة الضئيل، قرأت عبارات متقطعة وكلمات ممزقة وهي تجهش بالبكاء قرأت: "فشلت في تربية ابنتي، إنني أحميكِ من نفسك، تتأففين ويرتفع صوتك حين أوجهك وأنصحك، إنك تقتلينني ببطء يوما بعد يوم، أفرغتِ من حياتي رحيق الأمومة وتركتيني جسدًا بلا روح يوم أخذتِ جهاز هاتفي النقال خفية من حقيبتي وسربته إلى أحد الأقارب مقابل مبلغ زهيد، حين علمت نقلت إلى المستشفى وقد ارتفع ضغط الدم ومكثت في العناية المركزة يومين، وبمجرد ما استفقت كنت أول من أحببت رؤيته".

تنهدت رياحين، بحزن قلبت صفحة أخرى مبللة بالعبرات لتقرأ : "ذات ليلة موحشة في آخر الليل مررت بباب غرفتك، سمعت همساتك، توقعت أن تكون أنين وجع، دخلت الغرفة لأطمئن عليكِ، وجدتك مختبئة تحت اللحاف تكلمين صديقًا بالهاتف النقال، ولم أسمح لكِ يوما بامتلاك هاتف، كانت الخطيئة مزدوجة، منذ تلك اللحظة المتكدرة شددت الرحال حافية إلى أيام شائكة".

أبعدت المذكرة بتوتر وقالت: "هذه الليلة لا تمحى من ذاكرتي أبدا،

فيها أغلق هاتفه ليتصل بأخرى، هو اليوم يوطد علاقته بصديقتي "أميرة" وهي التي عرفتني عليه".

أغلقت المذكرة بقلب راجف، مسحت دموعها قائلة : "كم كنت قاسية معك يا أمي، صبرت، ولكنك لم تتحملي فانكسرت، في زمجرة الحياة اللاهثة على نغمات حزينة طعنتك طعنات آثمة لامست مشاعرك فاختفيت بامتعاض، ومسحت جمال الأمومة من دوائر وجودي، سامحيني يا أعز الناس".

تعاقبت السنون والأحداث، في الجهة المقابلة هناك على ضفاف نهر الحياة المورقة بالأمل، النضرة بقطرات الندى، الضاربة في عالم أبدي مملوء بالمتناقضات، وفي أحد المعابر الدافئة التقت "رياحين" مع شاب وسيم وعدها بالزواج، في ليلة زفافها عاشت حلمًا رماديًا، سعادة تغشاها الوحدة، فرح يغطيه الكدر، راحت ترتب حقائبها بمفردها، تتمنى وجود والدتها، لكن ليس لها غير الحلم والطيف والصدى، أحست بحضورها، اشتمت عبق عطرها، سمعت نداءها، بحثت عنها في وجوه المدعوات فلم تجدها، رمقت خالتها وهي تنظم أطباق الحلوى، تفرستها بعمق،

ارتسم وجه أمها الوديع ببسمته الدافئة على وجه خالتها، صاحت: "أمي أين أنت؟ أنا بحاجة إليك".

تردد الصدى في مختلف أركان الغرف، أبكت كل الحاضرات وراحت النساء تخففن عنها واحدة تلو الأخرى بكلمات مهشمة يكتنفها الحزن وامتزجت الزغاريد بالدموع.

عاشت "رياحين" بعد زواجها في منزل أسرتها ليعيد الزمن حياكة أحداث نفثها القدر ونسائم توارثها البشر، وبقي المكان شاهدًا.

ذات صباح ألقت الشمس وشاحها الذهبي على مبنى العائلة، أنجبت "رياحين" صبية جميلة أسمتها "أماني" على اسم أمها، نمت كبنفسجة تعبق عطرا، كبرت، عصت وتمردت، اتسعت دائرة التمرد، في كل لحظة تمر تعصف رياحًا عاتية تضرب في محطات الماضي البعيدة، لتتذكر "رياحين" أرصفة العناد والتشدق والعجرفة، ها هي مرآة الزمن تعكس صورة الأرصفة المتصدعة قسر إرادتها، حملت مذكرة والدتها وضمتها إلى صدرها، ومن عينيها المتورمتين سقطت دمعة تلتها أخرى، تنهدت وبحسرة، رددت نفس العبارة: "أمي الغالية، صبرت، لكنك لم

تتحملي فانكسرت".

وأردفت تقول: "إن القدر حملني على نفس الأمواج العاتية التي رمتك على الشاطئ الآخر، بدوري أنجبت مَن ترميني على نفس الأمواج لكن إلى أين تقذفني..... ؟".

على وقع أقدام القدر ونبض الحياة تستفيق الطبيعة لترى الزمن قادمًا من أصقاع بعيدة، يمسك بيمينه عصا خشبية يتكئ عليها ليثبت خطواته، وباليد اليسرى يحمل مرشا صدئ ليسقي حوضا نبتت فيه أزهار بلا أريج.

● ❀ ● ❀ ●

الوطن والوطن الآخر

حدّثتني هديل تلك المرأة العربية القادمة مع الضّباب الرّماديّ الكثيف المنتشر فوق قمم الجبال العالية، قالت: "التقيت به روحا دافئة تتألق في جوانح الحياة، تساميا معا بحب الله، وذبنا في بوتقة الزمان بين ضفائر القدر ننسج حلمًا مشتركًا .

نظرنا حولنا، كان النحل القادم من الآفاق البعيدة يحضر من الرحيق شهدًا وتمايلت عراجين التمر المتدلية من خلال سعف النخل في الفيافي الشاسعة وغردت العنادل في حبور، قذفتنا الأمواج الوردية الحالمة إلى

الأحواض المبللة بقطر الندى في الحدائق النضرة لنستمتع بسيمفونية ساحرة، ابتسمت إلى جانبي أميرة أحلامي، كانت لطيفة كنسيم الربيع، يانعة كأوراق الياسمين، وراق لنا البقاء في وطن عسجدي محصن بأسوار من فولاذ، شمسنا مشرقة وأحلامنا متدفقة وأرضنا مغدقة.

فجأة هبت ريح عاتية قادمة من كل الاتجاهات، قصف، موت، دمار...

بكت أميرة أحلامي، صرخت وتوارت، بحثت عنها في كل حدب وصوب فلم أجدها، علمت أن الروح الدافئة أيضا توارت إلى الأبد، وأنني أسير وحدي على أنقاض بائسة، لم يعد لي سقف يحميني من قسوة برد الشتاء، ولا مظلة تحجب عني أشعة الشمس البنفسجية، تجلدت وارتديت رداء الصبر، ودون أن أدري احتضنت بقايا أحلامي، مزقت شرانق الخوف والتردد وولجت ربوع التّحدي، انحدرت مع الحمام إلى ضفاف الغدير أرتشف ماء لازورديا، حلقت في فضاء قريب من أحلام الأرض، هويت على الثرى المعطر بأرواح الأبرياء، ومشيتُ بخطى متثاقلة أجر خيبتي واكتئابي.

في أفق الزمن الهارب تذكرت فلذة كبدي، عز علي أن أمضي بدونها، أسرعت الخطى إلى الوراء، امتدت يداي داخل حدود مرسومة بقلم رصاص، اختطفتها من بين أنياب الغدر، حملتها بين ذراعي، احتضنتها بحب، في اللحظات المتقاربة المغمورة بالارتياع رحلت متباعدة أضم طفلتي إلى صدري.

في جوف العاصفة انطلقنا ننشد أغنية فراق الأوطان، متعبة أمشي، وطفلتي التي أثقلني حملها أرغمتها على السير حافية، أسبقها طورًا وأطوارًا تسبقني، تلامس أناملنا أوراق البنفسج تارة فنبتهج وترتطم أقدامنا بجثث وأشلاء تارة أخرى فنرتعب، وقد تلبد كبد السماء بغيوم حزينة تذرف دموعًا كلما طاب لها أن تشاركنا الأسى، وكان حفيف الشجر أقوى من وقع أقدامنا الحافية على الأوراق اليابسة والحصى المبللة بقطر المطر، مشينا إلى وجهة مجهولة وقد أنهك السير جسدينا الضعيفين، كان القدر يرمقنا ضاحكا يؤنسنا أو يهزأ منا لست أدري!

انجلى ليل وانبلج صباح آخر ولم نصل... إلى أين؟ لست أدري!

الكآبة ترافقنا والغربان تلاحقنا، وفي لحظة توقفنا.. بعد مأساة

وآهات وعبرات وجدنا أنفسنا على الضفة الأخرى، وعلى الأرصفة المتأججة بالشوق والحنين أردنا العودة إلى الوطن الحبيب، لكننا أخطأنا الطريق، وما أصعب أن يضيع منك الطريق إلى الوطن، ومازلنا على الضفة الأخرى.

و في جزيرة وردية زارها الربيع باكرا وتصافح معها الإشراق في قلب الشتاء، هواؤها أريج منعش، ابتسمت الوجوه فيها، بمحاذاة نهر الأمان أحسست بدفء نسبي وأنا أحضن صغيرتي.

بنينا مأوى لنا كما تبني الطيور وكناتها بجدران من القش والأوراق والأغصان، افترشنا بساطا أخضر على ضفة نهر باسم ينساب منه ماء زلال والتحفنا نور الكون عسى أن نستريح قليلا، استلقينا متكئين أنا وابنتي كل منا على وسادة خيالية تجسدها أحلام زائفة وآمال باهتة، في تلك الأثناء تساقط رذاذ، نظرنا إلى بعضنا نظرات الأسى وابتسمنا معا حتما عثرنا على فكرة مشتركة، تخيلنا معا صفيحة ذهبية سقفا يقينا قطرات المطر، استسلمنا لنوم مريح في مسكن وهمي هادئ قرب صخرة جاثية بكبرياء على ضفاف النهر المغناج.

بمجرد أن أطبقت جفوني رأيت الروح الدافئة ترفرف بقربي تلامس أنفاسها النقية جسدي المثلج بين أكف الشتاء، امتدت يدي إليها ووددت الإمساك بها، لكنها اختفت من جديد، كما اختفت كل الأشياء العذبة في حياتي، واستفقت مرتاعة أسمع أنين بلادي.

تنهدت هديل وقالت: ليتني بقيت بين أحضان وطني الجميل.

هدأت من روعها، وأدخلتها بساتين وطني، فتحت لها أبواب بيتي الواسع وأسكنتها في غرفة قرمزية، فتحت لها صوان ملابسي، رجوتها أن تحتفظ بفساتيني الملونة بألوان قوس قزح، وابتعت لصغيرتها ألعابا وقصصا للأطفال...آنستها وآنستني.

في إحدى الليالي استفاقت هديل مرعوبة وهي تردد بدمعة وابتسامة : "إنني قادمة، إنني قادمة".

سألتها ما الحدث؟

فأجابت: سمعت همس الوطن، إنه يهمس في أذني : (لملمي أغراضك وأسرعي الخطى نحو جسر الوفاء، لا تتردي، عودي إلي، إنني أنتظرك) .

منحتــها أثوابي المطرزة بالسندس ومجوهراتي الثمينة.

أثنت علي كثيرا وهي تقبلني قبلات الوداع.

قالت والعبرات تتلألأ على وجنتيها المتوردتين: "عذرا وطنك ساحر أخضر لكنه لا يشبه وطني، وطني شذرة غالية، فيه أشعر بدفء سرمدي يتسرب إلى أعماقي، وهمسه يعيد إليّ نبض الحياة، نسائم وطني تسعدني حين تداعبني، وأجواؤه الندية تفجر فيّ روح الأمل، وأوبتي إليه تسربلني ثوب الكرامة".

حكايات بنفسج

نظرت نجلاء إلى نفسها في المرآة، تراءت لها صورة امرأة فاتنة، شعرها أشقر، عيناها زرقاوان، ابتسمت، رمت بجدائلها الذهبية على كتفيها.

امتطت زورق الماضي الذي قادها إلى شواطئ بعيدة، قبل أعوام عديدة حيث كانت طالبة جامعية، تتجول بين أزقة المدينة، دخلت إحدى المكتبات، قلبت كتبًا على رفوفها، قرأت عناوين كثيرة، وقع نظرها على عنوان جذاب لكتاب يشمل مجموعة قصص قصيرة، قلبت بعض الصفحات، قرأت كلمات وعبارات، أعجبت بهذه القصص، اشترت الكتاب، أحلى ما في الحياة نبض دافئ يقربنا من الآخر.

كلما سكبت الشمس أشعتها النورانية على أسطح المنازل تستفيق مغتبطة، متشوقة لقراءة قصة جديدة من مجموعتها المفضلة التي أحبتها، راحت تطالعها بشغف.

كلما أرادت الخلود إلى النوم تضع الكتاب تحت وسادتها.

كلما أكملت مطالعة القصص أعادت قراءتها من جديد.

مرت الأيام متثائبة في سفينة الحلم الوردي، في لحظة توقف القدر اللاهث بين أكف الزمان ليستأنف مساره حلوا، يانعا، متراكضا بين المروج الخضراء حين كانت "نجلاء" تحضن كتابها الأنيق وترفل في أحد أروقة الجامعة، سمعت إحدى الطالبات تتحدث عن مؤلف هذه القصص بإعجاب، توقفت، شعرت بإحساس غريب وكأن هذه القصص موجهة إليها وحدها، اقتربت منها، تعرفت عليها، استفسرت عنه، علمت منها أن هذا الكاتب أستاذ في كلية الآداب التي تدرس فيها، أعطت لها عنوانه وغادرتها.

بقيت نجلاء تعبر الممرات الضيقة، تجتاز المعابر الدافئة قادمة إليه، كتبت له رسائل بحروف بلورية من فتاة مجهولة مولعة بكتاباته، أرسلت

إليه بطاقات تهنئة في أعياد دينية ومناسبات أخرى، كلمته هاتفيا من أماكن عمومية دون أن تطلعه عن هويتها.

راح يرتشف أفكارها في القرب والبعد، ينتظر مكالماتها بشوق، يستقبل رسائلها بلهفة.

كانت سعيدة لأن روحها تعانق سماء أديب يتجاوب معها، يحاورها، يرد على مكالماتها ويقرأ ما تكتب له جوارحها، تبلورت في صفاء ونقاء، مشاعرها تضج بالألوان و الأسحار و الآمال.

ركض الوهم نحو الحقيقة في ليلة الاحتفال برأس السنة الميلادية، أعلنت أشواقها نحوه، قطفت أزهار بنفسج من حديقة بيتهم، أرفقتها ببطاقة كتبت عليها: "كل زهرة بنفسج من هذه الباقة تقول لك أن نجلاء التي تقرأ لك، لا تنساك، فللبنفسج حكايات يرويها بالروائح الشذية والصمت الصارخ والألوان المبهرة، تحبها الأرواح المسافرة في أعماق الذات للاستئناس بها، نشتاق إليها في أوقات الوحدة والوحشة والغربة".

في ليلة انسكب فيها القمر وتدفق ضوءه المبهر على مشارف الأرض،

كلمته عبر الهاتف وقد كان ينتظر بفارغ الصبر وهو لا يعرف لها رقم هاتف أو عنوانًا، سألها عن اسمها وعنوانها مرارا، رفضت أن تجيب بقولها: "يكفي أن تعرف أنني قارئة وفية لكل ما تكتب، أريد أن تبقى علاقتنا مذهلة بين أديب وقارئة، أحب فيك الشخص الكاتب المبدع".

اخترق سحابات صمتها في لحظة تدفقت فيها التفاصيل مستفسرا عن هويتها، معترفا بأن مشاعره تجاهها اتخذت مجرى آخر، فهمت ما يوحي إليه فردت: "لكنك متزوج وعندك أولاد".

قال بلا مبالاة: "ستكونين معي أسعد زوجة يا ذات العيون الزرقاء".

لم يدهشها عرضه بقدر ما أدهشها الوصف قالت : كيف عرفت ؟

قال: إنني أراكِ تتألقين كعقيق أرجواني فوق كل حرف من العبارات اللامعة التي تبعثين بها إلي، إنك حقيقة مرسومة في خيالي، لا تفارقني صورتك في يقظتي وأحلامي، ردي يا ذات الجدائل الشقراء.

في هذه الأثناء استفاقت نجلاء من رحلتها الحالمة لتجد نفسها أمام المرآة تمسك بجدائلها الشقراء مبتسمة، تلتقط بقايا العمر المتناثرة على

ممرات الزمن.

قالت تحدث صورتها المعكوسة في المرآة: "كانت تلك المكالمة مكالمة وداع لأنه لم يحبني بالطريقة التي أريدها".

تضايقتُ كثيرا يومها، وسجلت هذا الاعتراف في مذكرتي، أحببت أن أسافر إلى أعماق الرجل المبدع أقرأ له إنتاجه في المسودات، أنقد ما يكتب، يجعلني بطلة لإحدى قصصه، يحكي لي عن مغامراته الأدبية، أستمتع بالنظر إلى شعره الأبيض وهو يكتب، لكن كيف أجسر على تجاهل أحاسيس امرأة وأتخذ من حياتها ملاذا عاطفيا.

قادني ذاك السحر الأبدي المسافر في أعماقي إلى دحض واقع كادت الأيام أن تفرضه علي بعدما أرسل إليَّ والدي يقول : "انتظرني حين يسدل الليل ستره، أنا قادم لخطبة نجلاء حتى يبقى حدث قدومي سرًا تحت سدل الدجى، زوجتي عليلة أخشى أن أخدش مشاعرها".

مشاعري أنا المحلقة بعيدا حد السحاب تساقطت كحبات المطر، ارتطمت بالأرض، تناثرت، تكسرت، مشيت حافية القدمين على أشواك في ممر ضيق، أتبع حلمي الهارب وهو يتسرب بين أنامل الزمن، أبيت أن

أقبل قهرا واقعا تشوبه المتناقضات على أنقاض سعادة امرأة يكتنفها الحب والدفء والهدوء .

على أغصان مهصورة أطلقت العنان لنفسي في أروقة الحياة الواسعة، اقتحمت أحد أبوابها الواعدة بالخير والأمل، وافقت على رجل بسيط ضال في فيافي الدنيا، قادته إليَّ العواصف الرملية المحلاة بعسل نحلة الجبل إلى باب بيتنا، طرقه بهدوء واستقبلناه بحب وقبول، ملأ حياتي حبورا وابتهاجا وبسما وأحلاما، تفتحت الورود وشذت في بستاني وعشت بكبرياء أميرة أترنم في ضيعتي النضرة، شدوت أراقص نسائم الجمال .

تنهدت وعادت إلى واقعها قالت: تزوجت وأنجبت أولادا مع ذلك ما زالت بصمات هذه الحكاية الجميلة المخضلة بأزاهير الشباب تجوب ذاكرتي، هذا الطيف الأرجواني المخضل بقطر الندى يزورني كلما خلوت إلى نفسي وعباراته الناعمة مترامية على أرصفة الذاكرة استحضرها كلما طاب لي ذلك.

قطع رنين جرس الباب سلسلة أفكارها، فتحت الباب، دخل

زوجها، قدم لها كتابًا قائلًا : "أحضرت لك هذه القصة لأنني أعرف أنك تحبين المطالعة" .

اختطفت الكتاب من بين يديه، قرأت العنوان، "أزهار البنفسج" للكاتب.....

ذهلت، لم تنبس بكلمة، أردف يقول : "حدثتني كثيرا عن هذا الأديب حتى اسم الشخصية المميزة في القصة يماثل اسمك.

سألته :هل قرأتها ؟

قال : مررت على الصفحات وأنا على عجل، يبدو أنها حكاية ممتعة جدا بين أديب وقارئة أحبته، يقول كاتبها إنها أجمل قصة عاشها في حياته وأنه لن ينسى فتاته هذه للأبد.

عيون نجلاء تحدق في الفراغ، في صمت رهيب قالت في نفسها : "أيها الوهم، الطيف القريب، البعيد في عوالمي المدهشة، وأنا أمتطي زورق الفرار، أمرّ إليك عبر معابر دافئة في أروقة الذاكرة؟

ألقاك حلما نابضا وغصنا غضّا بين أوراق البنفسج الندية وأكمامه النضرة .

● ❁ ● ❁ ●

فيروز

أرخى الليل سدوله على مداخن المدينة، غيوم سوداء تتزاحم، تتشابك ثم تتمزق، اشتد بزوجتي ألمٌ، لم تعد تستطيع مقاومته، نقلتها على جناح السرعة تحت المطر إلى أقرب مستشفى.

استقبلتها فيروز، ممرضة وسيمة مبتسمة، أول من ابتسم لها في رحلة مرضها، سلمت لها ملفها الطبي: تحاليل وأشعة أوراق كثيرة تثبت رحلة شهرزاد الطويلة مع المرض، كم عانت من مشقة التنقل بين المستشفيات والعيادات الخاصة لتجتمع الرؤى حول نقطة حاسمة، إجراء عملية

عاجلة على مستوى الرحم.

بدت زوجتي موجوعة، ترتجف كورقة خريف، كزهرة ذابلة بجسد ضعيف، وجه شاحب، موقف صعب فرض على "فيروز" أن تدخلها مكتب الطبيبة "حياة" دون أن تأبه لطابور الانتظار.

اضطجعت على طاولة كئيبة، بعد فحص طبي سريع بالمستشفى بدأ الجميع يتأهب لتحضير غرفة العمليات، عملية جراحية مستعجلة لمريضة في حالة خطرة، خيط رفيع بين الحياة والموت.

وقفت حائرا في رواق ضيق، مرّت فيروز أمامي بشخصيتها القوية حتى أمام متاعب الحياة، لا تفارق البسمة ثغرها قالت : "لا داع لبقائك هنا، زوجتك بين أيادي آمنة، اذهب لتستريح في بيتك".

التحفت الجلد، مضيت إلى السديم، لم أنبس بكلمة لكن صمتي يهمس بالكثير.

مشت الممرضة اللطيفة تتبع سرير زوجتي المتحرك مسرعة رفقة فريق تمريض تقوده طبيبة أنيقة نحو المصعد، بكلمات هادئة سرعان ما تتلاشى في ضجيج المستشفى مشت بعض الخطوات، تراجعت،

اختصرت كل حكايات الشجن في وعكتها أمام ممرضات كثيرا ما سمعت عن تعنيفهن للمرضى، خارت قواي.

ألقيت بجسدي المثقل على مقعد خشبي مركون في أحد الأروقة الضيقة، أتأمل الفراغ في وحدة موحشة، أفكر في هلاكها تارة وتارة أخرى في تصرف يسيء إليها وهي في غيبوبة أثناء إجراء العملية أو بعدها في هذا المستشفى العمومي، وهي أمانة غالية عندي، أنبني ضميري لأنني لم أدخلها مصحة خاصة، أنهكني التعب والحيرة، استسلمت للنوم.

انقضت ساعات، في لحظة الخروج من زمن إلى زمن آخر ارتطمت الحقيقة بحافة الذاكرة، استفقت على ضجيج وكلام الممرضات، الصواب ، رأيت زوجتي مغطاة بلحاف على السرير المتحرك تجره الممرضات بهدوء وحذر، أدخلنها غرفتها.

كنت بعيدا، اقتربت أكثر، الباب مفتوح، كنت أُبصر دون أن ينتبهن لوجودي، أرنو إليهن باهتمام.

كنّ فراشات محلقات في سماء صافية يثابرن بنشاط بهمة نحلات، يتحدثن في هدوء، أصواتهن كزقزقة عصافير برّية.

كنت أصغي إليهن بحذر، فيروز تشرف بمهارة على المريضة، تشجع زميلاتها على إنهاء المهمة بنجاح، فهمت أنهن يلبسنها ثوبها.

فيروز: هذه حقيبتها خذي هذه القطعة.

صباح: أعطني لباسًا داخليا.

ليلى: ألبسيها بهدوء هذا الثوب فهو أوسع.

تقول فيروز بأسف : لا يوجد بحقيبتها .....

ليلى : ابحثي جيدا.

فيروز : سأحضر قطعة من عند المريضة في الغرفة المجاورة.

خرجت فيروز مسرعة إلى الغرفة المجاورة، أحضرت شيئا ما ثم عادت مثابرة، إنها مهمة ارتداء الملابس بعناية.

ثبتت فيروز قارورة المصل.

تفقدت ليلى بحذر الأنابيب الملصقة بأعضاء شهرزاد.

سحبت عليها صباح دثارا خفيفا.

جلست فيروز على كرسي قريب من سريرها تراقبها.

بعد هنيهة مرت بالرواق الطبيبة حياة، رمقتني بامتعاض، قالت بتوتر

حاد في نبرة صوتها: "من سمح لك بالدخول؟ من تكون أنت؟ إنه ممنوع".

أحسست بإحراج، دون أن أرد عليها انحدرت مثقلا إلى نهاية الرواق.

سمعت فيروز صوت الطبيبة مؤنبا، انصرفت من الغرفة، استفسرت عن سبب مجيئي في هذا الوقت المتأخر، ارتسمت أمامها روحا تائهة موجوعة تضج بالأوهام، أخبرتني أنها بخير، لم تستفق بعد من غيبوبتها، أعرف أنه ممنوع لكنها سمحت لي برؤيتها دون أن أكلمها.

ولجت باب غرفتها مرتجفا أخشى ما يخفيه لي القدر، رأيت زوجتي مهتصرة، ملقاة على سريرها، فاقدة الوعي، بأنفاس ضعيفة ونبض منخفض، اغرورقت عيناي، اعتصر قلبي المكلوم حسرة و حزنا.

اقتربت منها فيروز، مسكت يدها، قالت: "إنها متأثرة بمفعول المخدر ستتعافى بإذن الله، ستتحدث معك غدا إن شاء الله".

حدّقت في دمعتي الحزينة التي تدحرجت في المؤق، التمست بطاقة ملصقة بسرير شهرزاد قالت مواسية: ملفها الطبي يؤكد أن العملية

ناجحة، من حظ زوجتك أنها فترة عملي هذه الليلة.

وأمام سؤال يتعاظم نحو زرقة السماء ونقاء القلب وجمال الروح علمت أن شهرزاد احتاجت إلى دم إضافي أثناء العملية الجراحية، بنك المستشفى لا يحتوي على زمرتها النادرة وأن هذه الحمامة البيضاء المرفرفة هنا إلى جانبي تبرعت لها بكمية من دمها أنقذت حياتها، في ارتفاع متزايد أمام حجم الموقف الرهيب لذت بالصمت، انصرفت، مضيت متثاقلا في الرواق الطويل.

لم انته إلى الرواق الحزين حتى سمعت أنينا، رنين جرس، اشتعلت أضواء إضافية، أحسست بحركة غير عادية، ممرضات يظهرن من كل اتجاه، اهتز كياني، تراجعت، التفت إلى الوراء، في اللحظة التي تحبس فيها الأنفاس التقطت مسامعي صوتا مرتفعا ينادي حكيمة الغرفة رقم....

تأكدت أنها زوجتي تغادر الحياة، هرولت وسط ازدحام أطياف بمآزر بيضاء.

فيروز منهمكة في إعادة الحياة لشهرزاد بإذن الله، ملاك رحمة تثابر بإتقان بأمر من الضمير المهني، يحفها طاقم طبي من كل اتجاه، ملائكة

الرحمة يحُمن حول المريضة بحذق وبراعة ممزوجين مع القلق.

تصاعد في حالتها الصحية بسبب نزيف داخلي.

بقيت فيروز ساهرة إلى جانبها بمهارة وإتقان، بحس إنساني وروح ينعشها الضمير، ليلة أسطورية ثقيلة الخطى.

قبل شروق الشمس حضرت إلى المستشفى، دخلت غرفتها بين يأس وأمل، وجدت شهرزاد ورقة نضرة مبللة بقطر الندى، روحا مزهوة بالألوان تعبق عطرا، توردت وجنتاها، ابتسمت، طبعت قبلة على جبينها.

دخلت فيروز، سلمت لها صندوق فواكه وحزمة من مشروب بارد، ابتسمت قائلة: المريضة لا تأكل ولا تشرب، هذا الصباح لن تتناول غير منقوع أعشاب ساخن يحضر داخل المستشفى.

قلت مبتهجا: الحمد الله على سلامتها، الفضل لكنّ في نجاتها، هذه هدية باقات ورد و زجاجات عطر لك أنت وزميلاتك ملائكة الرحمة، وزعي الفواكه والمشروبات على المريضات ابتهاجا بعودة شهرزاد إلى الحياة.

● ❀ ● ❀ ●

على ضفاف الحلم

من القصص الفائزة في مسابقة
القصة القصيرة على مستوى العالم العربي.

الغيوم الرمادية تتزاحم، تتداخل، ثم تتمزق في كبرياء فقد اعتلت كبد السماء، يختفي قرص الشمس وينزلق خلف الأفق، يطل باسمًا بحياء، يسقط ضياؤه على مداخن البيوت الساكنة.

من وراء ستارٍ شفافٍ يتسلل ضوءٌ ضئيلٌ يتدفق في أركان غرفتها، حيث تنتظم الكتب على رفوفٍ ملصقةٍ بالجدار، وتتبعثر كتبٌ أخرى على المنضدة، على كرسي خشبي متحرك تتمايل إلى الأمام وإلى الخلف، في

صمتٍ رهيبٍ ينبض قلبُها المغمور بالشجن، تعيش أيامًا أسطورية ثقيلة الخطى، ترتشف منقوع النعناع ممزوجا بقطعة سكر تذيبها الأوجاع ، على ضفاف الحلم يسكن الظل، تضج روحُها بالأحزان، تجول في أروقة الذاكرة، تنثال عليها الأفكار وينصرف ذهنها بعيدًا.

قبل أعوامٍ زُفت إليه، في لحظةٍ اختصرت حكايا الابتهاج، حملت حقيبة الحلم الوردي وراحت تنشق عطر زهور ملونة بألوان الطيف.

أحبت زوجها "ربيعًا"، وأنجبت منه أطفالًا.

يومًا بعد يومٍ تنحدر مبتهجةً إلى آخر الشارع، تقتحم أبواب العمل في مبنى شركة متعددة الجنسيات، في آخر الشهر يسبقها إلى المصرف ليتقاضى أجرتها الشهرية بالعملة الصعبة برغبةٍ واقتناعٍ منها .

في ظلال النسيان تتذكر حين استلمت نصيبها في ميراث والدها، واشترت سيارةً فخمةً قدَّمتها هديةً له بمناسبة عيد زواجهما حبًا وتقديرًا، ولم تفكرْ فيما يجرفه تيار الأيام.

بمرارة اللذة بانت الحقيقة صارخة أنه مطلق، وأنَّ له أولادًا.

أعلنت النفسُ حربًا على ذاتها، هبّت عواصف قوية، وتوقف زورق

الحلم الجميل على وقع أمواج صاخبة، لكن تيارات عاتية ترمي بها إلى شاطئ التسامح، فتكمل رحلتها معه مغتبطة، تتقلب في عجلٍ بين شعابٍ انبرت فيها الأحزان.

في متناقضات الحياة يصيبه المرض(ورم في الكلى).

آزرته بحبٍ ووفاء.

شاء القدر أن يغادر الحياة.

على ضفاف الحلم تجد نفسها وحيدة بائسة.

استفاقت من غفوتها على رنات الهاتف، إنهم أولاد "ربيع" يطالبونها بالميراث.

يطالبونها بالمسكن الذي تحضن فيه صغارها، في كل ركن يعبق أريجًا من الماضي، وفي كل بلاطة تحيك ذكرى تصدح بها عنادل السحر تعلو بقوة فوق الزمن إلى زمن آخر .

بل ويطالبونها بالسيارة التي قدمتها هديةً له من مالها الخاص، راكضة وراءها القوارص.

يدق جرس الباب، إنه "رائد" شقيق "ربيع" يستعجلها حق والدته

في ميراث أخيه.

تقول بحنقٍ والجرح يلامس شغاف القلب: "المسكن الدافئ والسيارة الهدية؟!"، صابرة على مضض، حافية القدمين على أشواك القدر الجائر.

تسير موجوعةً إلى المحكمةِ لتستلم حكمًا قضائيًّا بتوزيع التركة في مدة محددة، هي قوانين الأرض وتشريع السماء.

مع انبلاج الصباح تراكضت إلى المكان الكئيب، واحتضنت الطيف الآفل، تنفش التراب بأناملها الناعمة، والدمع يتلألأ في المآقي تسأله: "مَن يحميني من أولادك وأخيك؟ مَن يدافع عني بعدك؟ غدرت بي وغادرتني، أنا وصغاري بحاجة إليك".

لا صوت ولا صدى غير وجه الله والسماء.

في سكينة الليل المغمورة بالأشجان بكت حتى جفت الدموع، وصلَّت لله بخشوعٍ حتى تعبت من الركوع؛ فاستأنس بذكر الله قلبُها الموجوع.

امتدت يدها في لحظة أقل قساوة من الحكم القضائي الرهيب إلى

الكتاب الذي كان يقرؤه ربيع في آخر أيامه قبل أن يتعاظم المرضُ الخبيث، انزلقت منه قصاصة، سقطت أرضًا، التقطتها بيدٍ ترتجف كورقة خريف، فتحتها، قرأت فيها: "حين أغادركِ إلى الأبد؛ اتصلي بهذا الشخص على هذا العنوان، وإليكِ رقم هاتفه".

على ترنيمة الشجن وأنغام الأسى ابتسمت، استأنست، اتصلت، أطلَّ نور صباحٍ آخر.

ولجت مكتب المحامي وأرسته على الحقائق المثيرة، تأسف لسماع الخبر الحزين، أعلمها بأنه كان في مهمةٍ خارج الحدود، ووعدها بطعنٍ عاجلٍ في حكم المحكمة بعد أن أطلعها على وثائقٍ رسميةٍ تضمن حقَّها الشرعي في السيارة وعلى أنها شريكة في المسكن بحكم أجرتها الشهرية.

على ضفاف الحلم اضطجعت على وطاء حريري ترسم أفقًا بلا حدود، تستمتع بهفيف نسيم الإنصاف الرباني الأنيق.

● ❁ ● ❁ ●

التحدي امرأة

التقيتُ بها في محطة الحافلة بعد فراق دام عشر سنوات، احتضنتها بشوق، ركبنا الحافلة معا، جلسنا على مقعدين متجاورين ورحنا نتبادل أطراف حكايات متنوعة نقطف باقة من كل مرحلة نعرج عليها من مراحل العمر.

ابتسمت وقلت: تغيرتِ واختفت فيكِ ملامح الفتاة الفاتنة المرحة التي عرفتها أيام الجامعة.

أطرقت مليا وردت وهي تحدق من وراء زجاج الحافلة إلى الطبيعة المسرعة إلى الخلف: إنني أغوص في غموض الحياة متعبة مثلمة الفؤاد.

قلت بفضول: ما الذي يتعبك؟ حدثيني.

نظرت إلي، أطبقت جفنيها فسقطت دمعة في المؤق، قالت بِالْتِيَاعُ: منذ وقت مضى التقيت بأيمن، كان رجلا متألقا، أحبني وطلبني للزواج...كان متزوجا وعنده أطفال، وافقت وعارضت أمي...

تنهدت وأردفت تقول: أذكر كلماتها قالت يومها: (أنت زهرة شذية في ربيع العمر ما الذي يرغمك على محاصرة امرأة في بيتها، تطفئين شموعا أشعلتها في كل ركن من أركان عشها وتقاسمينها رغيف أطفالها، تنتزعين منها قلبا أشعرها بالأمان وتخلفينها قلبا جريحا نازفا).

لم أبال بما قالت والدتي، أحسست بالقوة وأنا أتحدى امرأة.

أكد لي أيمن أنه لم يحب زوجته يوما وأن سعادته معي تلامس حدود الشمس،حاولت إقناعه بتطليق "سناء"، كان متمسكا بها، لكن لا يهتم بها.

كانت تطعم صغارها الثلاث رغيفا جافا بينما كنت أتناول مع أيمن طعاما دسما مع فاكهة ومرطبات، كانت تبيت على ضوء ضئيل في فراشها اليتيم على وسادة مبللة بالدموع، بينما أقضي أنا ليلتي مضاءة بأضواء

الأقمار المتهافتة حتى وقت السحر، كانت تموت في الليلة الواحدة ألف مرة من أجل أن أعيش أنا مغتبطة سعيدة.

مسحت بمنديلها الحريري دموعا سكبت على وجنتيها المتوردتين وواصلت كلامها قائلة: في إحدى الأمسيات الحزينة دخلت سناء غرفتي وقد انقصف الأمل بصدرها واستبد بها الحنق متضرعة معاتبة، تتشوق إلى اختراق الغموض في حياتي قائلة (كنت سعيدة مع أيمن أستعمل ماكينة الخياطة لأساعده في تأثيث الغرف واقتناء ألبسة الأولاد في الأعياد والمناسبات، لم أحمله عبئا ولم أعاتبه على خطأ، كنا نصمم حياتنا الزوجية بعطر وأريج حتى ظهرت كعاصفة هوجاء في ممرات حياتي شدختي مجدافي وتركت قاربي عالقا على أمواج متلاطمة).

تريثت قليلا، واصلت قائلة: أنت امرأة جميلة وعاملة تملكين أجرة شهرية، أمامك فرص كثيرة للاختيار، انتزعتي مني فرصتي الوحيدة للسعادة، لن أسامحك).

مرت سنوات عديدة على عجل حسبتها أياما، استفقت من حلم وردي، ارتطمت، ارتعبت، ندمت وأسفت.

صمتت برهة بعدما أصابها تعب وإرهاق، تطلعت إلى ووجهها الشاحب وقلت بهدوء: تدحرجتي بين الحلم الجميل والحقيقة المكلومة ما الذي دهاك يا امرأة؟

بعد أن تبلل منديلها الحريري أخرجت منديلا ورقيا، مسحت دموعها الرقراقة التي ما تزال تنسكب على وجنتيها المحمرتين وردت: منذ أيام سمعت أن أيمن على علاقة مع فتاة في سن بناته، اخترقت كل الحواجز ورحلت إلى ما وراء ستائرها لأقتنص الحقيقة، وجدتها فتاة ساحرة تخط بالعطر أفقا بلا حدود.

طلبت منها الابتعاد عنه فامتنعت بحجة المشاعر المتشابكة بينهما، ذكرتها بفارق السن بينهما فردت بتحد: أول ما لفت انتباهي فيه وجذبني إليه هو وقاره وشعره الأبيض.

قلت: إنه متزوج من امرأتين.

ردت بهدوء: منذ وقت مضى قبلت ضرة فكيف أرفض أنا؟

قلت: إنك تحطمين أسرة.

ردت مبتسمة: أنت بدورك بنيتِ سعادتك على أنقاض أسرة بريئة.

قلت بانفعال: أريدك أن تبتعدي عن زوجي.

ردت بثقة: كيف تطلبين مني أن أفعل ما لم تستطعي أن تفعليه أنت؟

انصرفت من بيتها منكسرة في ارتياع والتياع ودموعي منهمرة.

في رأسي الصغير تجول كلمات أمي المحذرة منذ سنوات عديدة، داخل ذاتي أعترف إنني أعيش دور الزوجة الأولى المنهارة المدافعة عن بيتها وسعادتها، عرجت على سناء في غرفتها لأستطلع أحوالها، وجدتها منطوية في ركن حزين بجانب سريرها، اتصلت عيناها الحادتان بعيني اتصالا عميقا، وقد بدا عليها علامات الجزع، تزاحمت الأفكار في ذهنها وكثرت المتاعب في نفسها المكتئبة جور الليالي و قهر الرجل، قالت بصوت هادئ: سمعت أنه يتأهب للزواج من فتاة في عمر ابنتي، إنك تمخرين عباب بحر غاضب وتتصارعين مع تيارات قوية ارتطمت بها منذ سنوات خلت، حين كنت تزفين سعيدة.

تنهدت تنهدات شقت صدرها وواصلت قائلة: أنت الآن تجرحين بنفس السكين التي رشقتها في جسدي الهزيل، أتذكرين كنت سعيدة وكنت أنا حزينة واليوم هي سعيدة وأنت حزينة.

وقفت منفعلة وأردفت تقول: لا تجزعي كثيرا، اخترت في ما مضى وقبلت، هي اليوم تختار وتقبل.

رأتني صامتة صمتا أخرس، انشق رحيق الأسى في عباراتها البائسة، اقتربت خطوات متثاقلة، مسحت دمعة متدحرجة على وجنتي بأناملها المثلجة وقالت: لا تلوميها ولا تذرفي دمعة واحدة، تجلدي واصبري كما تجلدت وصبرت وارتشفي من كأس تذوقت مرارتها، لم أحتمل كلماتها اللاذعة، تركتها تهذي وانفتلت إلى غرفتي، لملمت أغراضي، حملت حقائبي دون أن أودع أيمن.

ركبت أول حافلة تأخذني إلى بيت والدي، رأيتك في المحطة، ركبنا معا وها أنا أحكي لك عن قصتي المؤلمة.

وضعت كفيَّ على وجهي متأسفة، رثيت لحالها، ضاعت كل الكلمات وخانتني مفردات المواساة.

كان الوقت متأخرا حين توقفت الحافلة، نزلنا، ودعتني.

أيام تدفعها أيام، تمضي الأسابيع متتالية، ذات مساء دافئ مررت عليها في بيت والدها لأطمئن عن أحوالها وجدتها هادئة راضية قالت:

أردت الطلاق فكان لي ما رغبت فيه ورجعت إلى عملي في المؤسسة التي اشتغلت فيها قبل الزواج.

استفسرت عن أخبار زوجها وعن فتاته الموعودة بالزواج.

ردت: اكتشف الأطباء أنه مريض مرضا خبيثا، عاد إلى زوجته سناء التي باتت لا تفارقه لحظة واحدة، لا يأكل إلا من طعام امتزج بحلاوة حضورها ولا يرتشف إلا من قهوة نشق فيها أريج عطورها، تريثت قليلا وأردفت قائلة: الفتاة التي عزم الزواج منها بعد أن عرفت علته اختفت وغادرته إلى الأبد.

● ❀ ● ❀ ●

حين يهمس السراب

على الضفة الأخرى من البحر الأبيض المتوسط، وتحت سماء باريس المغطاة بسحابات رمادية في وحشة الغربة، وفي غربة ما وراء الحدود، ركبت "ترانيم" سيارتها ذات الطراز الرفيع بأضوائها الزرقاء، شغلت المذياع، أدارت زر الاختيار وراحت تغير الأمواج، سمعت أصواتًا بلغات أجنبية، استاءت، أغلقته.

تحركت أناملها بخفة لتفتح هاتفها النقال، في إحدى المحطات الإذاعية العربية عبر الإنترنت توقدت عبارات من أعماق الوطن إلى الروح والكيان، شعرت بالأنس والألفة، رمت "ترانيم" حقائب الزمن

على حافة الأيام وراحت تحضن وطنها بدمع يقربها من الأمل الضائع.

في فترة مسائية يقودها زورق الأنس، ينتشر العبق في فضاءات الأثير ويتردد الصدى من إذاعة "الحضنة الجزائرية" يرافقكم إسماعيل بركات رفيقكم الدائم الذي لا يغيب في حصتكم مساء الخير بلادي، حين همس السراب على جسور حالمة، خالته نبس بين شفاه القدر وهمس على ثغر الكون، انبعث الشذى مع رجع الصدى في نفسها المسافرة مع مختاراته الغنائية التي تجاوزت روحها الحائرة انبعثت فوق البحار والأنهار الفيافي والسهول، مسافرة فوق غيمات حالمة محملة بنضارة الزهور ورحيق البلاد التي لم تزرها منذ سنوات.

أغدف ليل ثم انجلى الدجى، وتجلى يوم آخر على ذكرى حكاية أمس. تضمخت بالطيب والعنبر بالحب والرونق والبهاء، تجدد اللقاء وقت الأصيل لينمو بداخلها أريج الحياة ونبض الذكريات المغمورة بحب الوطن الأخضر الممزوجة بدفء الكلمات وجمال الروح لمنشط مرح حضوره محلّى بأغصان النرجس وشخصيته القوية مخضلة بأوراق الياسمين، صادق النبرة دون تكلف، تتعالى أغاريد البلابل في تنافس

سرمدي مع صوته الملائكي الممتد في الفضاء العجيب في سيمفونية ثنائية رومانسية مع الشفق.

في قمة الارتقاء ترقى بذاتها إلى أسمى مشاعر الإنسانية حين ترقص فراشات حالمة على أكمام البنفسج، تذوب الذات في أجواء الوطن في الجبال والوهاد في مروج مبللة بندى الشوق إلى البلاد، حيث يزرع في فؤادها بلسم يقربها من أرض الوطن الحبيب، حين يسمو الطيف بتنهداته يسرد أحداثا مرفقة بأغانٍ عذبة تنثر أزاهير الأنس في وحدتها لرائد الأغنية الشعبية دحمان الحراشي والمطربة ياسمين بلقاسم في أغنيتها (من أجلك عشنا يا وطني)، والمطرب الشاب مراد السويطي في رائعته موطني موطني الجلال والجمال والسناء، والبهاء في رباك.

الحديث عن الوطن يشق عنان السماء يخترق السحاب إلى عالم آخر مبهر في ربوع الكون البديع الذي صنع كبار الهمة في بلادي حيث يتألق مذيعها المفضل إسماعيل بركات في هدوء وسكينة بأجنحته الذهبية تلاطف همساته الشجية ونبرته الدافئة مشاعرها الممزقة في غياهب الغربة، يغدق في نسج الكلام الأنيق، ويغزر في اختيار الكلمات الشفافة

يحمل إليها في أنفاسه الهادئة نبض الوطن وسحر المكان.

تقول في صمت تخاطبه عن بعد أنت أكذوبة عقلي وحقيقة صدقي، إن عقلي الذي لم يرك يساير مسامعي التي تلتقط أصداءك سحرا مضيئا في وسائط الإبهار تقطف من ربيع العمر ورودا متفتحة، تصنع منها باقات ملونة بألوان الطيف، تمشي على درب آمل تنشق عطرا، تنظم شعرا، بيراعها يسيل حبرا يرسم وطنا في سماء الغربة، يستحضر صديقا لصمتها يمحو وحدة الأمس وغربة الغد، بفعل هذا العبق الإنساني الراحل عبر أمواج إذاعية إلى ما وراء البحر إلى روح ترانيم الهائمة في غربتها، بعيدة عن أهلها.

صار صمتها صارخا، وحديثها صامتا، تشتاق لكلماته عبر الإنترنت تخال وكأنه يحدثها لوحدها، تبتسم وترد عليه دون أن يعرف أن ترانيم وردة بنفسج غرسها الزمن في حدائق غربة ما وراء البحر، دون أن يدري أنها فراشة محلقة في سماء باريس، روح سابحة في الوجود تترنح على كف الغد الباسم تنتظر تواجده بحلم، تحب الاستماع إليه بشغف.

ذات مساء لامست أناملها شاشة هاتفها النقال كعادتها مستعجلة مبتسمة، موسيقى صامتة طال انتظارها، مذيعة أخرى تقدم برامج متنوعة، اغرورقت عيناها لغياب الأنيس، لم يحضر السراب الدافئ، افتقدت الكلمات العسجدية الواعدة التي تصف الوطن وما أصعب أن تفتقد الحديث عن الوطن وأنت على ضفاف الهجرة وقد تعودت الاستماع إليه في منبر ما ومن حنجرة جياشة تسمو بحب الوطن، تراجعت أناملها بشجن، في تلك الأثناء ترددت على مسامعها كلمات المذيعة تقول: حصة بين المدارس التربوية ينشطها إسماعيل بركات، رست على المحطة من جديد، تنفست الصعداء، تدفق بداخلها الابتهاج السرمدي المرافق لغربتها المتناغم مع وحدتها، راحت تستمتع بتنافس البراعم وأدائهم لأغنيات عن الجزائر تعبق بروح المواطنة، معطرة بنسائم الوطنية مزدانة بألوان العلم الوطني يتخللها كلمات منشط يصدح بالحلم والجمال، بالهدوء والسحر وقت الأصيل تتصاعد إلى الفضاءات الراقية لتعانق مسامعها المرهفة وتسكن صمائم قلبها.

مع متناقضات الأيام يصرخ الصمت لتطل من نوافذ الزمان على

بريد الحصة الإليكتروني، أرسلت تستفسر عن صاحب المفردات الأنيقة واقترح مخرج الحصة إهداءً لأميرة الساحل على الضفة الأخرى، في لحظة لا تشبه اللحظات فوجئت ترانيم باسمها ينطقه السراب الهارب إليها عبر الإنترنت، إهداء في الأفق الوردي الجميل يرسم بألوان الربيع فرحة حد السماء، ابتهجت،انتعشت، انتشت، أينعت، أرسلت إليه باقة ورد حمراء كتبت عليها: "أيها السراب الدافئ أحببت حروفك الناعمة بحجم الكون، وأنت كناري برتقالي تغرد للسلام في قفصك المذهب، بنيت لي في راديو هاتفي وطنا نديا أخضر محاطا بالحب والأمن، أسكنتني فيه بجوارك بعيدا عن عتمة المهجر.

● ❁ ● ❁ ●

عنادل السلام

ارتشفت قهوتي، لملمت أوراقي المبعثرة على مكتبي، خرجت إلى شرفة غرفتي أستطلع أحوال الدنيا، تحت نور قمر ضئيل جلت بنظري بعيدا في أفق لم يكتمل، أبصرت عندليب السلام الأبيض الناعس على أحد أغصان شجرة السرو الباسقة، رجوته أن يقترب مني، سألته عن أحوال الأهل والجيران من وراء حدود بلادي.

رد بامتعاض: دمار وانهيار وأشلاء سيول دم و دموع....

لا مجال للتشدق، افتككت منه جناحيه الفضيين، ارتفعت في الهواء تحت سماء الوطن العربي الغائمة التي لم يبق على أديمها إلا غيوم رمادية

ونجوم قليلة تومض وتنطفئ، يدب على أرضها أناس اسمهم عرب نسوا أنهم إخوة، مشوا بوجوه عابسة، هياكل بلا أرواح، امتد بصري إلى حدائق العرب السابحة على أمواج الصخب، صرخت بصوت مدوي: من حاك الرداء الأسود الذي غشى شمس العرب؟ من نزغ الاطمئنان من قلب هذا الوطن؟

تعالت الأصوات البائسة في لجب، تحاول عبثا الإجابة، كثرت الكلمات الممزقة، تبعثرت العبارات المبتورة، تراكمت الحروف وأنصاف الكلمات ولم أفهم ما يقال، حمت فوق أنقاض المدارس فلم أجد إلا ركاما من أدوات مدرسية مهصورة وحروف عربية مهشمة.

خلت الأرصفة من المارة، أوصدت أبواب المحلات، ولم يعد في الأسواق باعة أو تسو ق.

أعياني المنظر الكئيب، كظمت غيظي، ازدادت حيرتي، تفاقم انشغالي لما آل إليه الحال في بيت جيراني.

في رحلتي إلى أعماق الخليج العربي مررت بالأهرام الصامدة عبر القرون في فيافي أم الدنيا، رفرفت على قلعة صلاح الدين الواقفة وبرج

القاهرة المتحدي في شموخ جبروت العاصفة، ابتعدت في حنق لاهثة أطوي المسافات يلاحقني إحساس بأننا عرب إخوة نصنع من شذى العروبة أكاليل التحدي.

متعبة وصلت فلسطين الجريحة، تراءت لي القدس المتألقة شاحبة الوجه متألمة، تمسح حزنها بسمة مشرقة على قمم العروبة وقت السحر.

عرجت على لبنان النضرة بنسائم الصمود المخضلة بندى الشموخ منذ الأزل.

حلقت بسوريا، دمشق الحضارات الراقية الممزوجة بنكهة الثقافات المعاصرة، حمت حول نهر دجلة وقلعة حلب، مكثت طويلا على صخرة على حافة نهر بردى الأموي أستشف هدوء الماضي الجميل من صخب الحاضر المهيب، مررت بوادي الرافدين وبرج بابل والمدرسة المستنصرية، أسترجع ذكرى العراق الواقفة التي تأبى السقوط تحضن بغداد الشماء التي احتار في إخضاعها الأعداء.

قررت العودة إلى بلادي محملة بهموم وانكسار، فؤادي المثلم يرسم برحيق الريحان في بهو العروبة فراشات ملونة تحوم على ورود الحلم

الجميل، توقع على كل وردة بصمة أمل في غد مشرق.

على نفس طريق الذهاب صممت نهج الإياب، رجعت مارة بفضاءات العرب الشائكة، ترنحت متعبة صامتة وقد خفت خفقان جناحي الفضيين المستعارين.

رغبت في استراحة قليلة على صومعة المسجد الأقصى، فقدت توازني، هويت، ارتطمت بأرض معطر ثراها بشذى العروبة القادم عبر الزمن، استوقفني غرباء وقد أضعت حقيبة يدي بداخلها حلي ثمينة ووثائق إثبات هويتي، راعني الموقف و لم أجد لي مؤنسا، سألوني في جنون: من أنت؟

فقلت في وجل : أنا عربية.

قالوا: من أي وطن أنت ؟

قلت: وطني رقعة متأججة بشظايا الجمر، تتحدى وتكسب الرهان، زاهية على امتداد العصور من الخليج العربي إلى السواحل الإفريقية، كأن بأحدهم صممًا.

سألني عن حدود وطني قلت: رغم الآه والجراح يبقى وطني سيد الأوطان، وطني يمتد بكبرياء من يوم مولدي إلى ذكرى طفولتي إلى عطر الأصالة في مستقبلي المتدفق في مروج حياتي، أرضه الاتحاد، وسماؤه الوفاء.

أردفت أقول والغصة تجثم على صدري: في وطني يقهر الأعداء وتتشابك الرايات وتتمازج الرموز، تنبض الرفعة والكرامة في صمائم الحريات، وتبرق الأمجاد وتتصاعد البطولات إلى ما وراء الأزمنة، وتنساب الأخوة في جداول النصر رقراقة مع تباين اللهجات.

أحاط بي الغرباء في هوس، كبلوني بقيود زجاجية، جزمت أن حريتي ذابت في بوتقة سرمدية .

فجأة حط بقربي عندليب أبيض مغردا للسلام ، وحط آخر وآخر وأبصرت العندليب الأبيض الذي أعارني جناحيه الفضيين وقد اكتسى بجناحين من عسجد يحوم حولي جذلان، يفك وثاقي.

كثرت العنادل، والتف حولي سرب أبيض من عنادل السلام، وعلى ترنيمة الوئام توارى بذاتي كل ارتياع، وأيقنت مسرورة أن عنادل السلام تهب في كل أوان لنصرة الأنام وانطلقنا معا في سماء عربية، نغني أغنيات واعدة على بوابة الانتصار.

على أفنان أشجار الأرز الغضة في بستان الحضارات وجوهرة العرب استرحنا، ننشد للسلام، ننتظر انجلاء الليل وانبلاج صباح جديد تكبر وتتسع فيه أفئدة مضاءة بضياء الأمل وتنمو وتتفتح فيه أزاهير ملونة بألوان ربيع آمن.

وفاء

بين ضفاف نهر الأيام وأمواجه المتلاطمة وفي مجرى السنين المتراكضة، ذات يوم وقد كبا لون الشمس عادت "وهيبة" من مكتب عملها منهكة القوى، رمت حقيبة يدها وارتمت على سريرها، حدقت في جدران غرفتها الضيقة تناجي عتمة حياتها الرهيبة، رددت مع نفسها: سمير يظلمني، كل مساء يلتقي بي في ضجيج وأقابله في صمت، متعجرف عنيد يدوس على طموحاتي بأقدامه الخشنة في متاهات العمر يقدم لي حبوب منع الإنجاب هدايا في مناسبات مختلفة، أواظب على عملي دون كلل ليسبقني في آخر الشهر إلى المصرف دون شفقة ويتقاضى أجرتي، أمد له يدي بحنق رغبة في مبلغ يسد حاجاتي الضرورية فيردها منكسرة، يثور وينتفض حين يجدني أمام الحاسوب ولم

يسمح لي بفتح حساب على شبكة التواصل الاجتماعي، تبرز وتتسع حدقتا عينيه حين أستقبل في البيت إحدى جاراتي أو زميلاتي، يغضب ويتبعثر عندما أستأذنه في الخروج إلى بيت إحداهن .

مسحتْ دموعها المتناثرة كاللآلئ على وجنتيها، بسطتْ ذراعيها تستجمع قوتها، صرختْ في صمت (سأمزق أنسجة هذه الحياة الموقوتة).

خطتْ باتجاهه مسرعة وقد استلقى على أريكة في البهو يحمل جهاز التحكم، يتجول بين القنوات الفضائية دون أن يرسو على محطة، تباعدتْ ثم اقتربتْ، في جنون انتزعتْ من يده جهاز التحكم بقوة، قفزتْ الكلمات من بين شفتيها:

أنت أناني متكبر، حياتي معك سراب، أطفو على سطح اهتماماتك كذرة متلاشية، أمنحك الكثير وتريد المزيد دوما.

جاشت نفسه، أنغض رأسه دون أن ينبس بكلمة.

أردفتْ: أريد الطلاق فورا.

كبر سؤالها أمام غضب العاصفة، امتدت يده إليها بصفعة حاسمة خلفت آثارا على خدها وجراحا في أحاسيسها.

انصرفتْ على إثرها من بيته ثم خرجت من حياته، على براعم الحلم المنقوص وعلى أزاهير الحب المفقود، كان لها ما أرادت، ضاعت بين أجنحة القدر.

في بيت أبيها على ضوء الأمل الضئيل راحت ترسم بأقلام الرصاص باقات باهتة لسعادة موهومة، فتحت حسابا على شبكة التواصل الاجتماعي وراحت تنشر صورا وخواطر تعبر عن ذاتها المغمورة بالغرور، الموعودة بحياة جديدة، المورقة بالحرية الرابضة بين جنابتها.

مرت السنون موحشة، قرأت على صفحة أحد الأصدقاء: الذي وجوده في حياتي يضايقني ولو قليلا حتما يجب أن أستغني عنه.

عادت بها الذاكرة إلى إحدى محطات العمر، تدفق شعور غريب بداخلها، تذكرت أنها استغنت عن شريك حياتها وأطفأت فتيلة القنديل في ليلة كئيبة، رددت بألم : لابد أنه مع أخرى الآن، سمير ملكي أنا وقلبه موطني.

تسرب إلى أعماقها حنين، انزلقت مع منعرجات الندم، دون أن تدري ضغطت على أزرار حاسوبها لتجد نفسها على صفحته، اطلعت على

منشوراته التي تحمل صورا كئيبة وخواطر بائسة تعبر عن الحزن والإحساس بالوحدة، دفعها الشوق لتكتب له كلمة باسمها الافتراضي "وفاء".

لم يرد، ظلت تنتظر، يوما بعد يوم، وعلى تناغم دقات الزمن الصعب التي ضاقت فيها ممرات الصبر، انسابت على أرصفة تأججت فيها نبضات الانتظار، في معترك حياة الرونق المزدانة بالأحداث الباسمة جاءها الرد الذي احتضنته جوانحها بدفء فضمد جراح جوارحها.

على عبق أغصان الياسمين وعطر أوراقه المخضلة راحت تتواصل معه، مزقت شرانق وحدته، أحس بالصدق والثبات، فسح المجال واسعا ليتسرب الهدوء إلى أوصاله ويسكن الأنس في فؤاده، سألته إن كان متزوجا، أجابها: مطلق، نادم على المرأة التي افتقدها، قال: أحببتها بصدق لكن بطريقتي التي لم أستطع أن ألامس روحها، لم أسألها يوما عن آمالها وأحلامها، كنت منشغلا بحبها عن مطالبها، مكتفيا بوجودها دون الانتباه لوجدانها، تمنيت لو منحنا القدر فرصة اللقاء في رواق الحياة مرة أخرى لغرستها في مروج روحي زهرة شذية لكن حاولت استرجاعها

ورفضت، إنني حتى الآن أذهب إلى المطعم الذي كنت أتناول فيه الغداء معها وأجلس على المنضدة التي كانت تجمعنا وأطلب صحنين.

قالت وهيبة: أنا أيضا مطلقة، كان زوجي يعنفني، يريدني زوجة مطيعة. لا يهتم بوهيبة المرأة الطموحة مرهفة المشاعر، يغار علي من النسائم العابرة فيحرمني من كل شيء أحبه، ضيق علي الخناق فقررت الهروب لكن إلى أين؟ في لحظة غضب أضعته، في لحظة غرور رفضت العودة إليه، طيفه يرتسم بالألوان في كل مكان ،يعيش بداخلي.

مع انبلاج كل صباح، على عبق أوراق القرنفل يفتح حسابه يجد رسالة منها تعبر فيها عما تكنه له بدفء وتبدي إعجابها بشخصيته، استأنس لوهيبة، سألته يوما: لماذا لم تتزوج مرة أخرى بعد ما انطوت سنوات؟

أجاب: حاولت كثيرا لم أجد البديل، وهيبة لا تشبهها امرأة.

في لحظة توقف فيها الزمن، توهج نبراس الأمل، صارحها بأنها شخصية هادئة، لطيفة، آنسته في وحدته هو يريدها زوجة له.

في بستان الأيام المورقة حدد موعدا للقاء في وسط المدينة، في حديقة

خلابة جلس سمير على كرسي حجري ببذلته الكستنائية ينتظر قدومها، مرت دقائق، رفع رأسه، أبصر وهيبة، امرأة أنيقة بفستان بنفسجي فاخر تقترب منه في حياء، نادته: سمير -اسمه الحقيقي لا الافتراضي-، اضطرب، ارتبك، امتدت أصابعه إلى رباط العنق وفكه، قال بصوت مبتهج يرسم بالألوان سؤالا، أنت وهيبة؟!

نظرت إليه من خلال سحابات خمارها الشفاف البنفسجي، ابتسمت وهي تنبس بين شفتيها: لم أنسك أبدا.

تشابكت أصابعهما في هدوء، تسلل إلى فؤادها نور، تدفق في صدره حبور.

قالت: إذا أحببت شيئا فأطلق سراحه فإن عاد إليك فهو ملك لك إلى الأبد.

قال: ما عرفت أنك شذرة ثمينة إلا بعد أن افتقدتك.

أطبقت جفنيها وهي تتغنج في كبرياء.

مضى إلى أهلها لإتمام إجراءات إعادتها إلى بيته وهو ينساب بين أنامل الزمن في شموخ .

● ❁ ● ❁ ●

الحقيقة الموقوتة

في لحظة امتشاق وبين واقع وخيال، من وراء باب البيت الكبير بالريف الجميل حاكت "سندس" قصة حب رومانسي مع "جمال" وهو شاب أنيق بادلها المشاعر المتدفقة، طلبها للزواج في أعماق الريف وفي البيت الكبير الذي سادت فيه العجوز "عائشة" بالأمر والنهي.

نمت سندس مغناج كزهرة نضرة بعد أن احتضنتها جدّتها بالحب والحنان بعد أن طلّقت أمها وهي الزوجة الأولى.

تتابعت الزوجات في حياة والدها سليمان، بعد كل طلاق يختار

أخرى.

سلمى هي الزوجة الخامسة كانت يانعة تقارب عمر سندس التي لم تبق معها إلا أياما قليلة وراحت تستعد لمغادرة بيت العائلة.

زُفت سندس إلى زوجها مخلفة وراءها فراغا كبيرا في البيت وفي قلب جدتها.

مع مرور الأيام استاءت العجوز عائشة من تصرفات زوجة ابنها سلمى، اشترت لسليمان منزلا منفردا في إحدى زوايا الأزقة المقاربة.

بقيت مع ابنها أحمد وزوجته آمنة في البيت الكبير التي تقدرها وترتاح إليها.

صارت تتردد بين الفينة والأخرى على حفيدتها سندس مقبلة عليها بالأطعمة والهدايا.

"جمال" زوج "سند" استغل وجود أسرته في بلاد ما وراء البحر، شيد محلا لبيع الألبسة المستوردة الخاصة بالنساء والأطفال، بات يتردد على البيوت يحمل الحقائب بائعا متجولا، راق له أن لا يتأخر عن زيارة سلمى محملا بحقائب مملوءة بالمغريات، كرر زياراته.

فتحت له باب بيتها واحتضنته بقلبها المعطر بشذى الزهور بالبسمات والشاي، صارت تقتني دون مقابل ما طاب لها من فساتين وزجاجات عطر.

نصحتها آمنة أن تنفتل عن سلوكها لكنها بألوانها ودلالها دوما في لهفة انتظار وهو في شغف الحضور.

بان صبح يوم جديد، انزلق قرص الشمس وراء الأفق، هرعت آمنة إلى سلمى تحذرها من أعاصير تجرفها إلى الهاوية لكن انبرت لها وردت عليها برنين ضحكات وتشدق أجوف، أعلمتها أنها ماضية إلى سندس تطلعها على ما تحيكه هرولت باتجاهها.

سندس في المطبخ وقد وضعت الحليب على النار تحضر قهوة الصباح، جمال في الرواق يستعد ليوم جديد، استقبلها بامتعاض، توقفت وسط الرواق، حذرته، أَنَّبته باحثة عن حقيقة خلف جدران محطمة، في وجوم سمعت سندس كلمات مبعثرة عبارات موجعة طعنات لاذعة، بقلب مكلوم ذرفت دموع الأسى، دون أن تدري هرولت إلى غرفتها، لملمت أغراضها، خرجت من بيتها مسرعة، متوجهة إلى جدتها لترمي

أوزارها الثقيلة في صدرها الواسع .

تحت غيمات حزينة دخلت سلمى إلى بيت سندس لم تجد إلا جمالا حائرا يتسلل إلى السراب، تذوي اللحظات في دوائر الاكتئاب راحت مفجعة تؤانسه تبحث في نسيج الحقيقة الممزقة عسى أن تجد خيطا متينا تتمسك به.

ارتمت سندس كزهرة ذابلة في حضن جدتها تبوح لها بما يوجعها، أحست بالأمان وهي تضمها إليها قائلة: ظلمك الزمان كثيرا يا ابنتي، رحلت أمك وتركتك رضيعة، غدر بك زوجك وأنت عروس، أما زوجة أبيك رديفة الذل والهوان لن أسامحها سأبلغ مساوئها لسليمان.

في لحظة متأججة ممزوجة بالحنق الدموع بالحزن والانكسار، دخل سليمان شاحب الوجه متألما، اتسعت حدقتا عينيه، ابتسم ابتسامة عريضة عندما رأى سندس، قفزت نحوه وعانقته تبكي على كتفه تريد البوح بأشياء كثيرة، لكنه بادر بالكلام قائلا: الحمد لله قد نجوتِ، احترق بيتك وانتشل رجال الحماية المدنية جثة امرأة كانت مع جمال ظننتها أنت، رفعت رأسها مذهولة والدموع رقراقة في المآقي، بادلها نظرات حيرة وتساؤل من

تكون؟

على أرصفة الذاكرة ترامت الأحداث لتتذكر أنها تركت مطهاة مملوءة بالحليب على الموقد المشتعل فصرخت بكلمات مبعثرة: نسيت أن أطفئ .... تسرب تيار الغاز ما زال سليمان يتساءل : من المرأة التي كانت مع جمال؟

أجابته أمه متظاهرة بالهدوء : إنها زوجتك سلمى يا ولدي.

وردت سندس بانفعال: احترق البيت وشاء القدر أن يحترقا معا ولكن الحقيقة الموقوتة بقيت تنبض داخل الدخان المتصاعد .

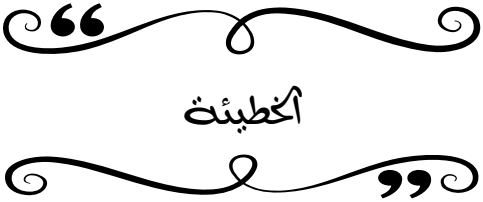

الخطيئة

خرج من بيته في المدينة باكرا يسوق سيارته بسرعة فائقة يسابق الزمن للالتحاق بعمله في إحدى المؤسسات بالريف على هامش الطريق المنعزل، رفعت يدها ملوحة منادية باسمه... التفت إليها، عرف أنها "رانيا" بنت القرية.

ظروف اجتماعية قاسية رمت بها على الأرصفة، صار الجميع يعطف عليها، تراجع قليلا ثم أوقف السيارة، ركبت إلى جانبه تريد الرجوع إلى بيتها في الريف، سارت السيارة رويدا لبعض الدقائق وهي مبتهجة تكلمه عن أخبار أهل القرية دون انتظار تعليق أو جواب، حدق فيها مليا، أوقف السيارة، انزوى في مكان منعزل قضى معها برهة من الزمن وقد نسي موعد عمله.

مر صديقه رياض عائدا من الريف إلى المدينة، تعرف على سيارة فريد

ورانيا مرافقة له، فريد مشغول بفتاته لم ينتبه لمرور صديقه.

اتجه رياض إلى منزل فريد أعلم زوجته قائلا: تركته الآن في مدخل القرية مع خطيئة

تنهدت وقاطعته قالت: وصل مسامعي الكثير مما يرتكبه من أخطاء وصمتُّ صمتا صارخا.

أردف يقول: كان لغيرك في كثير من اللحظات فكوني لغيره مرة واحدة لتتعادل الخطيئة.

فهمت مقاصد كلماته الدنيئة، فتحت الباب بقوة وقالت : أشكرك، نقلت إلي خبرا وأنهيت مهمتك.

انصرف خائبا.

تسربت رانيا إلى السدى وسط أمواج الأحداث المتهافتة ترسم بالدموع حياة بديلة، جمعت أغراضها بعين دامعة وصدر مثلم.

سمعت رنين جرس الباب، فتحت، إنه أحد أقارب فريد ينقل إليها نبأ حزينا قال: في مدخل القرية ارتطمت سيارة فريد بشاحنة.

برقت الدموع كاللآلئ على وجنتيها المتوردتين قائلة :كانت معه؟

قاطعها بكلمات ممزقة عمن تتحدثين؟! فريد كان على عجل متجها إلى عمله، طبعا وحده.

تبادلا نظرات حزينة مؤكللة بالدموع.

قالت في صمت صارخ: أنت وصديقك أحدثتما شرخا في صدري، أيكما أصدق؟

هل أصدق كذبة صادقة أم أصدق حقيقة كاذبة؟

وتسللت إلى السراب تبحث عن حقيقة صادقة.

الشك المزرق

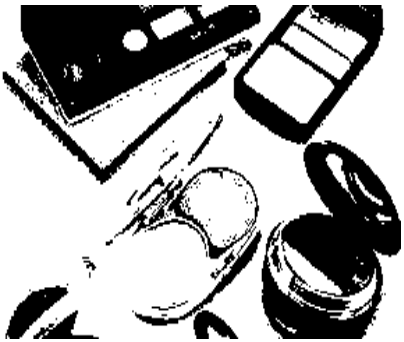

ما زالت آمنة منهمكة في تنظيف الغرف، نشطة فرحة باستعادة عافيتها، رجعت من المستشفى منذ أسبوع إلى بيتها الذي غابت عنه بسبب مرض أقعدها الفراش برهة من الزمن، تردد أغنيات جميلة تارة، وتستمع لأغانٍ شرقية تارة أخرى حتى وقت الأصيل وقد سقطت الشمس في الأفق.

بينما هي مشغولة بترتيب الكتب داخل المكتبة رمقت علبة مساحيق مستعملة لا تخصها مركونة على الرف، تفرستها بقلق، أمسكت بها، رمت بجسدها المثقل على أقرب أريكة حائرة متسائلة، اكتسح جسدها المتعب أمواج من الشكوك واجتاحها فيض من الحنق.

ثارت كما تثور الزوابع الرملية، مزقت كتبا وأوراقا، كسرت مزهرية، ركلت ما مرت به من مقاعد وأبواب حتى بلغت البهو، أجهشت بالبكاءز

زارتها جارتها، أطلعتها آمنة على علبة المساحيق مؤكدة لها أن زوجها يخونها، أدخل امرأة إلى بيتها أثناء غيابها، هبت إليها مؤانسة، طمأنتها الجارة ونصحتها بالتروي، هدأت العاصفة في نفسها قليلا.

أسدل الليل ستره، عاد "عصام" إلى البيت، استفسرت منه عن وجود علبة المساحيق في المكتبة، لكن استفسارها تسلل إلى السدى، غير مبال، رجح أن العلبة تخصها وقد نسيت بسبب الإعياء وغيابها الطويل عن بيتها وأغراضها.

ذوت الأيام وهي في حيرة واكتئاب، حين لاحظ عصام أن آمنة شاردة الفكر، متورمة الجفون، مخضبة المآقي، متضاربة في تعاملها معه، دون أن يتسرب موضوع علبة المساحيق إلى ضفاف الذاكرة قال مواسيا: لم تستعيدي عافيتك ونضارتك وحيويتك كما عهدتك، سأرافقك إلى عيادة الطبيب هذا المساء .

ردت بصوت ضعيف: أحس أن المرض يعاودني، لكنني لا أريد تعاطي الأدوية من جديد، إنني في شوق لرؤية أمي في الريف، أريد أن آخذ قسطا من الراحة هناك.

دخلت غرفتها، لملمت كل ما تحتاج إليه من ألبسة ولم تنس علبة المساحيق وضعتها داخل الحقيبة وراحت ترسم خطا للبداية.

ركبت السيارة التي سارت أميالا جنوبا صامتة لا تنبس بكلمة وكلما رغبت في التحدث في أمر ما رقصت علبة المساحيق أمامها، رسمت في مخيلتها ألف صورة لألف امرأة عسى أن تحظى بالتعرف على منافساتها في حياة زوجها.

دخلت بيت والدها بخواطر منكسرة وجوارح ممزقة، مرت أيام تبعتها ليالٍ، تكررت مكالمات عصام وزياراته، طلب منها عودتها إلى البيت لكنها بحجة المرض لا ترغب في مماحكة، أخفت غضبها مصرة على البقاء بعيدة حتى تتبين الحقيقة المستترة وراء تلك العلبة.

بينما هي سجينة أفكارها حبيسة شكوكها، في أمسية هادئة انسحبت قطع من الغيوم الرمادية كانت تحجب أديم السماء، اختلت آمنة في غرفتها

في الريف، فتحت الحقيبة، حملت علبة المساحيق بين راحتيها، تناثرت العبرات على وجنتيها من الكدر يلامس جوارحها، قالت بأنفاس مكتتمة تحدث نفسها: هذه العلبة رسمتك شبحا مخيفا بداخلي وصورتك في ذاتي أسوأ صورة أبغضها أيها الزوج الخائن، بعتني وأنا طريحة الفراش فكيف أثق بك بعدها؟!

فتحت دنيا باب الغرفة، نظرت إليها الأم بعينين بائستين دامعتين، ما كادت الصبية تبصر العلبة حتى تراكضت متهافتة، مبتهجة، اختطفتها من بين يدي أمها قائلة مبتسمة : إنها علبتي خبأتها لك في رف المكتبة في بيتنا.

قامت آمنة من مكانها منفعلة وقد اجتاح جسدها المغمور بالمآسي والتعب قشعريرة فيها مزيج من الأمل والخوف وهي تسألها مرتبكة: من أين لك بها؟ انظري إليها جيدا.

قالت دنيا : أعطتني إياها صديقتي جمانة في المدرسة.

ضمت الطفلة علبة المساحيق إلى صدرها وأردفت تقول :

لم تعد أمها بحاجة إليها، أخبرتني أن المساحيق تتزين بها النساء، كنت يومها في المستشفى فأخفيتها عن الجميع لأهديك إياها، من فرط فرحتي

عندما رأيتك ارتبكت ونسيت ولم أتذكر إلا عندما رأيتها الآن.

مزقت شكوكها، نزلت السكينة بقلبها، تنفست بقوة، قالت : ما أصعب أن تعلن النفس حربا على ذاتها.

احتضنت ابنتها بقوة ثم ركضت نحو الهاتف طلبت عصام، قالت : أنتظرك غدا باكرا مع انبلاج صباح جديد لأعود معك إلى البيت، اشتقت إليك.

نبض الذاكرة

على فراش المرض العضال متألما موجوعا من الحين للأخر ينبس كلمات بصوت ضئيل ممزق، يرغب في رؤية ابنه سليم، ظلت الزوجة زينب تواسيه وتطمئنه، تذرف دموعا تؤنسه باقتراب مجيئه.

تسابقت الأيام في ممرات الأحداث البائسة في بيت الشيخ أحمد، ذوت لحظات متأججة بين دوائر الانتظار المنكسر على حافة اليأس من القدوم وأمواج الأمل في الحضور، لكن سليم لم يحضر.

جلست السيدة زينب على كرسي قرب سرير زوجها مبحرة في عوالم ماض بائس، في صمت مغمور بالكلام تتذكر: نجح ابنها سليم في شهادة الليسانس بمعدل مرتفع أهله للالتحاق بالمعهد العالي في إحدى المدن المتربعة على الساحل.... لم يكن بينها وبين الماضي البعيد إلا مسافات

قصيرة وهي تبلل ثوبها بالدموع مجهشة بالبكاء تتأرجح بين واقع مذاقه مر وبين أضغاث ماض أكثر مرارة، فاجعة زوجها الملقى على فراش الموت بجسد هزيل وابنها المبعد قهرا، أخذه سحر المدينة وجرته حياله إلى كواليس مظلمة أنسته قريته ووالديه.

فجأة قاطعها صوت الشيخ أحمد في زخم الأنين مناديا: سليم أريد أن أراك يا ولدي، لتعود إلى حاضرها المشوب بالأسى، أغدف الليل واستسلما للنوم صابرين .

رن جرس الباب مبكرا مع انبلاج صبح جديد، استفاقت السيدة زينب على رنين لامس مشاعرها، اللهفة لرؤية ابنها سليم، أسرعت لفتح الباب، إنها أخت زوجها "دليلة" المقيمة في بلاد ما وراء الحدود جاءت لزيارة أخيها العليل.

طبعت قبلة على جبينه.

قال بقلب جريح: إنني أعيش هذه اللحظات على أمل أن لا يخذلني سليم ويحرمني من رؤيته وأنا على حافة الرحيل.

تضمرت، وجمت، انزوت في أحد أركان الغرفة بجانب زوجة أخيها

قائلة: في ظلال النسيان المتعبة يأبى الولد الوحيد أن يزور أباه، استأنست وراحت تحدثها بعينين دامعتين تبوح بما خبأت السنون بين جنباتها.

قالت زينب متأثرة: دعيني أحكي لك قصة ابن أخيك التي تجهلينها، كنت دوما أخفي الحقائق وأرسم لكم حياته بالورد وأعبر عن علاقته بنا بأسلاك من ذهب لكن الحقيقة غير ذلك.

شبكت دليلة بين أصابعها، قالت: أنا أجهل الكثير عن أحداث مرت في هذا البيت وفي هذا الريف الجميل بحكم إنني لم أعد إلى الوطن منذ أن كان سليم طفلا، حدثيني كيف تزوج وكيف هي حياته الآن؟

أردفت زينب: منذ عشرات السنين احتضنته بروحي وكياني، أشعلت له شموعا يستضيء بها من أجل أن أراه إطارا أفاخر به، مهندسا ميكانيكيا يخدم البلد ورجلا قويا بعلمه وثقافته يعضد والده عند الكبر، لكن هبت رياح قوية تلاشت معها أحلامي، ضاع ولدي في شوارع المدينة الشاسعة المكتظة، أراد الاستقرار حين تزوج لكنه تقدم نحو الضياع أميالا، انقطعت أخباره عن الأهل والقرية، نسي والديه.

صمتت، غاصت في أروقة الذاكرة ليصرخ الصمت بداخلها متنهدة

قائلة: إن أحداث رحيله إلى مدينة البحر تبرق على ضفاف ذاكرتي يوم سافر سليم ليواصل دراسته في مدينة النسيان خلف وراءه أسرة محبة، في اليوم الحاسم أوصيته أن لا يتخلى عن الهدف السامي لهذه الرحلة، أن يتحلى بالقيم الإسلامية ويتمسك بالمبادئ الوطنية التي تربى عليها، مسحت على رأسه أداعبه بأناملي حاثة إياه على الاعتناء بنفسه في الغربة، أما البسمة التي ارتسمت على ثغر كل واحدة من أخواته أثناء توديعه كانت تحذره من أن يبدل أمواج البحر بنسائم الريف الدافئة....رحل وعبق الشوق يرسم بالسندس والقرنفل لوحة جميلة لأسرته المحبة و قريته الهادئة، في كل عطلة يأتينا حاملا هدايا، يحكي حكايات مشوقة عن عالم المدينة المذهل.

كانت دليلة تحدق فيها وكلها آذان صاغية، أطبقت جفنيها.

أردفت السيدة زينب: مرت شهور، في عوالمه المثيرة تعرف على إحدى الفتيات التي كانت تشتغل بمحل بيع الحلويات القريبة من سكناه في المدينة، تزوج بها وانفصل عن الدراسة واشتغل في شركة ليعول أسرته الصغيرة التي ازدانت بميلاد رانيا، ثم كبرت أسرته بإنجاب ستة أطفال،

هرم في ربيع العمر لاهثا وراء النقود كلما كسب مال أنفقه تارة على قوت أولاده وتارة أخرى اقتنصته منه ملاهي المدينة المثيرة، كتب رسالة يخبر فيها أباه أنه تزوج وانقطع عن الدراسة واعتذر فيها عن القدوم في نهاية الفصل الدراسي.

غضب أحمد من تصرفات ولده الوحيد وسط باقة من البنات

مرت سنوات، انقطعت رسائله ولم يعد يأتي لزيارة أهله بالقرية.

مرض أحمد واشتد به المرض وبعث الكثير من الرسائل يدعوه لزيارته من أجل رؤيته، لكن سليم لم يرد مع إلحاح ولده.

تأسفت دليلة لما آل إليه حال أخيها بسبب غياب سليم، قالت بامتعاض: استسلم للعيش في حياة المدينة القاسية انقطع عن دراسته، دفعته الحياة الشاقة إلى الممرات الحالكة، وانصرفت دليلة موجوعة مثلمة الفؤاد، راجية لأخيها الصبر والشفاء.

مرت الأيام متراكضة، وذات صبح بزغت الشمس خافتة على سطوح المدينة، استيقظ سليم على وقع الفاجعة، استلم رسالة عاجلة من أبيه يرجو رؤيته قبل أن يودع الدنيا، كانت هذه الدعوة كقبس مشتعل

أضاء في فضاء واسع من ذاكرته الرابضة في الدجى.

انصرف إلى المحطة على عجل يبحث عن حافلة تأخذه إلى مسقط رأسه، إلى حيث قضى طفولته المنسية بين أكمات الزمان الغابر، لم تأت الحافلة في موعدها، أعياه الانتظار، أجل رحلته بائسا أملا أن يعود غدا ويرحل في أول حافلة ذاهبة إلى بلده.

رجع إلى بيته متأخرا لتعرف زوجته أنه كان ينوي الرحيل لرؤية والده فعارضت، رفضت وتغنجت وكان لها ما أرادت.

في ليلة زمجر فيها الأسى وغدت النجوم آفلة، استلم سليم تحت توهجها برقية من أمه تنعي إليه خبر وفاة والده بعد نداءاته المتكررة وشوق لرؤيته.

دمعت عينا سليم، نبضت ذاكرته، أسرع إلى المحطة عسى أن يلحق بجثمانه ويلقي عليه نظرة أخيرة، لحقت به زوجته لترافقه.

وصلا متأخرين، فلم يجدا في البيت إلا صدى الصمت الرهيب.

● ❀ ● ❀ ●

هروب رتاج

في الممرات الضيقة اختزلت "سهام" طريقها للحلم والجمال، ابتسمت لها الحياة، أنجبت فلة ورياحين وسوسن، كونت باقة ورد، اهتمت بورداتها الثلاث وراحت تنشق عطرا نديا.

في أحد الموانئ الغاصة بالأرواح البشرية الضائعة، بعد أن وجدت معبرا آمنا، تضيع سهام من جديد، توقفت على رمال شاطئ الاكتئاب حائرة ترمق ساعة يدها، تحسب دقات الزمان المسرعة نحو اللانهاية، تنتظر موعد قدوم مولود رابع.

بعد أن قضت معه كل هذا العمر يفاجئها زوجها عصام قائلا: أتمنى أن تنجبي ولدا مؤنسا لبناتنا الثلاث، برقت دمعة بين جفنيها، سقطت

على وجنتها، مسحتها بيمينها، تراءت كصخرة صماء، صرخت في صمت: صعب ما يطلبز

أردف وهو يدري أن الأمر قصر إرادتها: إن لم تفعلي يا سهام قد تجبرينني على الزواج من أخرى تنجب الولد الذي أحلم بهز

انهصرت مشاعرها، سقطت من بين أضلعها مثل كأس زجاج، تناثرت العبرات كتناثر أوراق الخريف، تبادلا نظرات بائسة، مشت خطوات إلى الأمام، التفتت إليه دون أن تنبس بكلمة ثم أسرعت الخطى، إلى أين في هذه اللحظات القاسية؟ إلى أي مكان حيث تكون بعيدة عنه، مازال يرمقها بنظرات حزينة.

ذات مساء كئيب وقت الشفق اختفى قرص الشمس وراء الأفق، سمعت سهام طرقا على الباب، فتحته، امرأة ترتدي ملاءة سوداء، تخفي نصف وجهها خلف نقاب أبيض، سألتها إن كانت تعرف سليمة المرأة المطلقة التي تسكن بجوارها.

أجابتها بأنها تعرفها مندهشة من سؤالها عنها واصلت تقول: تزوجت سليمة منذ أيام من مدير مدرسة في أحد الأرياف.

قالت سهام بكبرياء: هنيئا لها لكن ما الأمر ؟

اتسعت حدقتا عينيها، حدقت فيها بقوة وقالت: هو زوجك عصام من رحل معها إلى بيته في مدرسة الريف التي أبيت أن تنتقلي إليه أنت منذ سنوات وفضلت السكن في المدينة.

غادرت الغريبة بيت سهام لتخلف وراءها عاصفة هوجاء؛ انهارت سهام، بكت، التف حولها صغيراتها أطلعتهن عما فعله والدهن.

قالت فلة: ألم يقل أنه في مهمة خاصة بعمله وأنه سيغيب أسبوعا فقط ويعود إلينا؟

انقضت الأيام، عصام يتردد على بيته لرؤية سهام وتفقد بناته ثم انقطع عن الزيارة وانشغل بحياته الجديدة.

أنجبت طفلة جميلة أسمتها رتاج ملأت البيت بسما وحبورا، تحبو، تقف وتسقط كفرخ صغير يتعلم الطيران، ترنو إليها بحب وأمل، تتذكر أياما فائتة، تقول في نفسها: هجرني عصام بسبب إنجاب الولد أم أنه أحب تلك الجارة التي طالما أشفقت عليها، لم أبخل عليها بفساتين ونقود، حدثته عنها وجذبته للإشفاق عليها والتعاطف معها، أدخلتها

بيتي وفتحت لها قلبي.

ذات أصيل تمزقت سحابات بيضاء ثم تداخلت، تراكم ضباب رمادي فوق الجبال والوهاد والوديان، سمعت سهام طرقا على الباب، فتحت، وجدت عصام، تأملته بشعره الأبيض يحمل حقيبته يستأذنها في العودة إلى بيته بعد غياب أكثر من سنتين.

ولج مدخل الدار بخطى متثاقلة مرتجفا، منكسر الخواطر، متعب الأوصال.

حدقت فيه عن كثب، غطت وجهها براحتي كفيها وقالت: غادرتنا بشموخ ورجعت مهزوما منبوذا.

تأججت بداخلها مشاعر دافئة، أردفت بحزن يكتنفه الفرح بعودته: تفضل في بيتك مكرما دون استئذان، ما زالت رتاج تحبو من غرفة إلى أخرى حتى لامست أقدام والدها، نظر إليها، طفلة بريئة زهرة ريحان تزهو وقت الربيع بفستان وردي شفاف، وقفت تعضدها ساقا والدها، نسجت الفتيات الثلاث إكليل زهور معطر حول عصام بألبستهن الملونة بألوان الطيف وأقراطهن الذهبية اللامعة ببسمات مرسومة على ثغورهن

ابتهاجا بأوبته بعيون حائرة وقلوب متسائلة، تصرخ جميعهن في صمت مغتبط(لماذا غادرتنا يا أبي ؟)

قالت سوسن :أين أخونا يا أبي؟

قال باكتئاب اكتشفت أن سليمة طلقت من زوجها الأول بسبب عدم الإنجاب، بقيت معها هذه الفترة قصر إرادتي...

قاطعته سهام لتخفف عنه عبء الموقف قائلة الحمد لله على عودتك.

أردف : إنني مؤمن إيمانا قويا بأن الله وحده قادر على كل شيء.

انحنى على الصغيرة رتاج، حملها بين ذراعيه وهي لم تنطق بعد تناغمه كأنها تعاتبه بأنصاف كلمات وحروف مبهمة وتداعبه بأطراف أصابعها على وجهه.

طبع على جبينها قبلة أبوية دافئة، عانقته.

ضغطت سهام القرص المضغوط، علا صوت الحق في سماء البيت ترددت الآية ٤٩ من سورة الشورى:

﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾

برقت دمعة ندم بين جفنيه، سقطت عبرات متتالية على خديه.

حلق سرب من الخطاطيف يغمر السناء في ضياء وردي يتدفق في الكون فوقه، تدانت سحابات بيضاء ثم اقتربت وتداخلت لتحجب رونق الشمس.

انصرفت رتاج مع أخواتها كعادتها تلعب وتمرح مع البلابل المغردة والفراشات المحلقة وتستمتع برؤية الورود الندية الراقصة بين الأعشاب الخضراء.

أبصرت الأم بناتها يلعبن لعبة الغميضة في ظل شجرة كثيفة الأوراق، سألتهن عن رتاج، تبادلت الأخوات نظرات الفزع، هرع الجميع يبحثون عن رتاج في أنحاء الحديقة، فجأة صاحت رياحين، سقطت الصغيرة في البركة، حاول عصام إنقاذها لكن دون جدوى، غادرت الحياة.

ضرب على راحتي كفيه متأسفا، بكى حتى جفت الدموع، قال بحزن: صغيرتي رتاج حضرت في غيابي وغبت عند حضوري كأنك تهربين مني.

● ❁ ● ❁ ●

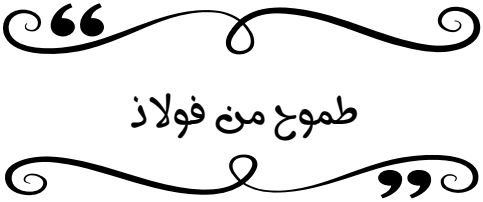

طموح من فولاذ

بين أجنحة طموح محلق حد السماء، نلت شهادة البكالوريا بتقدير جيد، التحقت بالجامعة، كنت بلبلا ذهبيا يرفرف بين ربوع الكون متلألئا بألوان الربيع، أثابر، أجتهد، أرتقي، أقتنص شهادة مهندس، أمضي صامدا إلى خارج الحدود لأواصل دراساتي العليا، أحصل بتحدٍ على شهادة تؤهلني لمنصب مرموق وأخدم وطني الغالي بحب والتزام.

يشجعني باستمرار صديقي "جمال" الذي سبقني إلى تحقيق حلمه، أبحر إلى كندا وهو يطارد طموحنا الفولاذي المشترك.

وبعد أن هنأني والدي بالتخرج من الجامعة طلبت منه مبلغا وأنا أعرض عليه فكرة السفر من أجل التعلم، غضب، انتفض، رفض، أحسست حينها بالوجع، فؤادي الجريح ينزف دما، راح طموحي الوردي ينكسر بين أضلعي، انصرفت، انسحبت من لؤلؤة أحلامي ومن

بيتي وذاتي، احتضنتني المقاهي واشتغلت فيها نادلا، رحت أجمع مبلغا يكفي لترميم طموحي المنكسر.

تسربت بين أنامل الزمان، جمعت المبلغ ورجعت إلى أبي أعتذر منه وأعلمه بموعد الرحيل لكنه أصر على موقفه، افتك مني ما جمعته واشترى سيارة من أرقى الأصناف، واختفى من أحلامي، وبقيت وحيدا أصارع صدمات هذا الزمن العنيد.

جمعت والدتي حليها الثمينة وسلمتها لي لكي أبيعها، رفضت أذرف دموعا، أعرف أن ذلك أعز ما تملك، كما أعرف أيضا أن من فرط حبها لي تناست موقف والدي عندما يعلم بما فعلت.

ذات صباح جميل ابتسمت الشمس صوب كل الأفئدة وأبت أن تبتسم لقلبي العليل.

بشجن يشق الأنفاس، بألم وحيرة، جلست أمام باب بيتنا أتأمل المارة، فإذا بسليم الولد الوحيد لابن جارنا الغني الطيب يبتسم لي وفي عينيه حيرة وتساؤل، أمسكت بيده بلطف وأخذته إلى صقع بعيد عن الحي والمدينة، كان يتبعني باستئناس، كلمت والده عبر الهاتف أطلب

مبلغا كبيرا وأدعي أنني رفقة عصابة اختطفت فلذة كبده، أثلمت صدري رؤية الصبي على تلك الحال، أشفقت عليه كثيرا، صارحته بحقيقة جاثية على قلبي الجريح، حقيقة طموحي المنكسر بين أجنحة الزمان العنيد.

في آخر النهار أحاط بي رجال الشرطة، في جو رهيب سلمت لهم الطفل، أخذوني إلى القفص المظلم، حزينا نادما أفكر في غضب والدي وكيف أصالحه، أقضي وقتي في المطالعة أطلب كتابا بعد كتاب من مكتبة السجن، لم تكن إلا والدتي تضيء من حين إلى آخر كالنبراس ظلمة السجن الدامسة لبعض الدقائق ثم تختفي، أخبرتني أن والدي أفلس، صودرت أمواله، وأنه غاضب مني لأنني لم أشتغل في مصنعه، لأنني أخليت بقواعد المجتمع، لكنها تطمئنني دائما أنها تفهم حقيقة طموحي، تعرف أنني إنسان طيب لطيف نشأت على القيم، أسعى لخدمة هذا الوطن، أستأنس بروح أمي الدافئة التي تفهم حقيقة طموحي الهارب وتعرف أنني أغرس الوطن وردة ريحان بيضاء في فؤادي وأريد أن أسقيها برحيق التعلم وبشهادة أحصل عليها من أكبر الجامعات في العالم .

مرت سنوات بين حلو ومر، تعب واستراحة، كدر وصفاء.

دون موعد أذن لي بالانصراف من السجن لحسن السلوك.

خرجت لست أدري إن كنت فرحا أو حزينا، مررت بالشوارع والأحياء، في قمة التناقض بدل أن أطرق باب المستقبل وجدتني أطرق باب الماضي، وجدت نفسي في حيّنا القديم أطرق باب بيتنا، ولا أحد يرد، ناديت بأعلى صوتي والدموع تتناثر على وجنتي كطفل صغير أمي...أبي.

خرجت من المنزل المقابل امرأة ثم من المنزل الآخر امرأة أخرى، بدأت الأبواب تفتح، نساء، رجال، أطفال، وتجمّع أهل الحي ينظرون إلي باشمئزاز وتذمر.

بدأت أسمع كلمات لاذعة: عماد...خاطف الطفل...المجرم...العاق لوالده...

وفجأة أحسست براحة خشنة توضع على كتفي من الوراء، إنه والد الطفل سليم، جذبني بقوة ثم ابتسم وقال: لقد رحل جميع أفراد أسرتك إلى المدينة المجاورة، أمك كانت تأتي لزيارتك تقطع مسافات بعيدة، لكنها لم تخبرك حتى لا تزيد عليك الهموم.

أخذني إلى بيته، استقبلني سليم بأسف، بكى على كتفي كثيرا، احتضنته، علمت أن "سليمًا" حكى لوالده عن الحوار الذي دار بيننا أثناء الاختطاف .

طلب مني سليم أن أرافقه إلى غرفته، وفتح حسابه على شبكة التواصل الاجتماعي، أخبرني أنه نشر قصتي، كان التفاعل كبيرا، من بين المتعاطفين رجل أعمال رفيع المستوى، يريدني أن اتصل به فورا، فوجئت عند رؤية صورته إنه صديقي جمال صار مدير شركة كبرى، اتصلت به فساعدني على السفر والدراسة في الخارج .

مرت سنوات، أنا وصديقي المخلص لطموحي جمال صرنا ندير معا شركة

عالمية ذائعة الصيت ترفع راية الوطن في المحافل الدولية.

في مؤتمر دولي نقلته وسائل الإعلام على المباشر شاهدتني أمي وأيضا شاهدني أبي، أنا مع راية الوطن أمثل البلد في حوار مع كبار المتعاملين الاقتصاديين في العالم.

تنهد والدي، سقطت من عينيه عبرات الندم، قال:

"كم ندمت على تصرفاتي معك يا ولدي، ليتني ساعدتك واختصرت لك الطريق بدلا من أن أعيق طموحك الفولاذي.

الانتقام الخاطئ

اشتعلت الفوانيس، تراءت على أضوائها أحلام بين طيات الزمان تبحث عن أنيس، مضت على رصيف العمر تتهادى، تلاحق الحلم الوردي، ببطء تسير، تداعب رنات الزمن، توارت، تراءت، في أزقة الحياة الضيقة وتحت أنوارها الخافتة، التقت به، هرعت تحضن حلما موعودا شاء له القدر أن لا يتلاشى رفيقا حميما وعدها بالزواج .

أشرقت شمس الصباح، تدفق نورها من النافذة إلى أركان الغرفة حيث استلقت أحلام على سريرها واستسلمت تفكر في حياتها الصامتة المستترة وراء متناقضات مغمورة بالحب موحشة تعوزها المؤانسة، تنهدت بألم تتذكر : قبلت به زوجا وهي تعلم أن مهنته سائق سيارة أجرة يحمل ما شاء من نساء ورجال وأطفال يغادرها قبل بزوغ الفجر ويعود إليها منهكا في آخر النهار...

مضت مسرعة في تفكيرها إلى سنوات خلت: حين جمعت حقائبها ورحلت متجهة إلى أعماق الريف رفقة رجل هادئ محب أسكنته في قلبها ودفأته بلحاف الحب.

انصرف ذهنها إلى ردهة بعيدة من الزمن مسترجعة شيئا مما تخبئ الذاكرة و برقت أجمل الذكريات: حين كانت تستمتع بالدلال بين أحضان والديها وتشعر بالاطمئنان والمؤانسة في رحاب الأصدقاء.

انتشلها من رحلتها في أعماق الذاكرة رنين جرس باب، أطبقت أجفانها وفتحتها بتثاقل، وقفت هادئة، مشت خطوات متباطئة نحو الباب، فتحت، استقبلت أختها رانيا، عانقتها، رأت فيها طيفا سحريا منبعثا من سواحل الماضي الجميل، أخبرتها أنها ستقضي معها أياما في الريف، استأنست بها واستعاضت بحضورها عن غياب زوجها.

في أحد الأيام ومع امتزاج الهمس بالثرثرة فتحت أحلام حافظتها قصر إرادتها واطلعت رانيا عن غصتها الأليمة قائلة: في بهجة الحياة الموعودة بالأمل المكدرة بالأوجاع بت أسمع الكثير عن مغامرات زوجي مع النساء وتتداخل الحكايات وتتشابه أسماء الفتيات وبين نبأ خاطئ وآخر صائب تخدش مشاعري ويتوهج بداخلي صراع مغمور بالدموع يكتنفه الإحساس بهدر كرامتي، يحتدم الصراع وتتملكني رغبة في الهروب وأفضل المواجهة، حين يدخل البيت مبتسما يحمل إلي هدية ويحكي لي عن أحوال الناس أحدق في وجهه، أراه جميلا صادقا كالحلم، بريئا كالملاك، أصدق كلامه المقتضب وتعجبني علاماته الصامتة الصارخة.

أردفت تقول: التحفت لحاف اللامبالاة، قبلت الهزيمة لأنني لا أريد أن أفقده في تلك الأثناء.

دق جرس الباب دقات سريعة متتالية، هرعت إلى الباب و فتحته، دخل شاب بهي الطلعة يحمل حقيبة كبيرة مملوءة بأنواع الألبسة المستوردة يماثل كل الباعة المتجولين، قدمته لأختها قائلة: خالد بن عم أحمد وراحت ترسمه في أحسن صورة تخفي وراءها حقيقة مهيبة.

اختارت أجمل الفساتين ولم تدفع نقودا كعادتها، بقى خالد يتردد على بيت أحمد كعادته، و اتخذته رانيا صديقا، وعدها وعودا كثيرة، ارتاحت للقاءات في البيت والحديقة ولم يمهلها الزمان كثيرا حتى تردد الصدى في أنحاء المنطقة من قمة الرابية إلى سفح الجبل وجاءت أم خالد تستطلع الأمر ولكن أحلام بحذق ألقت وشاحا رماديا على الوقائع.

شربت معها الشاي ساخنا وودعتها ببسمة، تراكضت الأيام، هبت العاصفة باتجاه سعاد زوجة خالد لتحمل لها شيئا في موضوع زواج خالد من رانيا، حملت طفلها في حضنها وجاءت كاشفة الوجه متأوهة تبحث في خفايا الحقيقة الممزوجة بمرارة الأوجاع وبين شمس النهار وسكينة الليل وجدت الحقيقة عارية، في لحظة تماوج فيها اليأس والغضب كانت رانيا تحدق في سعاد فتكشف عن امرأة فاتنة تلبس فستانا فاخرا، تتحلى بحلّي مبهرة وتتحدث عن خالد الزوج المحب الذي لا يمكن الاستغناء عنه وتشابكت الكلمات وسألت إذا كانت هذه أختها التي تريد الزواج من خالد، خيم الصمت، نظرت رانيا إلى أختها نظرة أسى وقد توردت وجنتاها وأغرورقت عيناها نادمة.

في غضب دخلت الغرفة وجمعت أغراضها، ألقت نظرة حائرة على

أحلام قائلة: سئمت الارتشاف من أفكارك البائسة، أخبرتني خطأ أنه منفصل وخلت أنه يريدني زوجة.

في لحظة مغمورة بالألم يكتفها اليأس وأوشكت أحلام على البكاء قائلة: أعذريني سعاد لم أقصد الإساءة إليكِ، إنه شبح الانتقام هو الذي أوحى إلي بهذه الفكرة المسيئة إلى كل من هم حولي.

قاطعتها سعاد :ما الذي أجبرك على هذا ؟

قالت وقد أجهشت بالبكاء: مع تيار الأيام الجارف يعنفني، لا يحترم أفكاري، كل يوم أسمع أن له علاقة مع أخرى، صبرت على مضض لأنه يشعرني بالدفء ويعيد إلي ترنيمة الحياة بعد كل خصام، إني أعيش معه الأمرين، يجب علي الاختيار بين موقفين كل موقف أصعب من الآخر، لا أستطيع الهروب من كوكبه الدافئ ولا أريد البقاء معه، مكبلة بمشاعري القوية تجاهه، مصغية إلى أساطير مؤذية من مصب النهر إلى كثبان الصحراء.

في اللحظات الملتهبة كنت أصغي إلى أحاديث النساء، لهن أزواج محترمون يحفظون كرامتهن، أراك أميرة في مملكتك، أتصور بهجة الحياة وصفاءها في بيتك، في حين أنا ارتشف جرعات علقم في قسوة الحياة، تمزق الغيرة أحشائي، يقتلني السؤال في اللحظة ألف مرة لماذا لا يحترمني زوجي في الوقت الذي يعترف دوما أنه سعيد معي؟!

تعودت على قدوم زوجك خالد إلى البيت يعرض علي في كل مرة

بضاعة جديدة، ألفته وارتحت إليه، انتهزت فرصة وجود أختي هذه الأيام وشجعتها على الاقتراب منه لعلك تشعرين يوما بما أشعر به دوما، كان هذا الموقف فرصة لأنتقم لنفسي، ممن؟ لست أدري، المهم إنني في تلك اللحظات التي تجمع رانيا بخالد أخال أن أحمد هو أيضا مع إحداهن في مكان ما، فأحس بارتياح لأقنع نفسي أن كل الرجال يصطادون في بحر راكد وأن كل النساء تكابد في جوف الحياة الزوجية.

قاطعتها سعاد متألمة قائلة: قسوت علي، أخطأت في حقي وحق أختك، إنه انتقام خاطئ.

وانصرفت سعاد.

دخلت أحلام الحمام اغتسلت وغيرت ملابسها جددت مساحيقها وبقيت تنتظر عودة زوجها بدلالها وأناقتها و تستقبله ببسمة ووجبة شهية.

● ❦ ● ❦ ●

أريج الحيـــاة

أشرقت أشعة ذهبية على القمم والتلال وتدفقت على السهول والوهاد، تراءى تحت أضوائها محمود بين طيات الزمان يبحث عن هدف، مضى على الرصيف يتهادى بلاحق الحلم الجميل.

ببطء يسير تارة، بعجلة تارة أخرى، يهرول نحو المستقبل، أكمل تعلمه بالمدرسة العليا للهندسة المعمارية وأضفى على الشهادة أملا.

ملأ حقيبته بطموحات كثر، راح يختار مبتهجا بين العمل في دول الخليج وبين إكمال دراسته في فرنسا ويرجح أن يستلم وظيفة سامية في بلاده و يتفانى في خدمة وطنه.

فجأة ظهر في أزقة الحياة حائرا حين استلم استدعاء التجنيد الإجباري، لم يكن هذا المنعرج في حقيبة طموحاته قال:

أنا لا أرغب في الحياة العسكرية، أحب وطني حبا شديدا لكن الحياة العسكرية هواية.

راح يحضن حلما واعدا، وعده رفيق أبيه أن يساعده في إحضار بطاقة العفو ليلحقها بملفه من أجل الوظيفة، لا يمكن للحلم أن يهرب ونحن نحتمي بالكبار، هكذا كان يردد ماضيا في دربه الصعب يقوده القدر.

طلب منه الضابط المتقاعد أن يدخل بالمؤسسة العسكرية ووعده بأنه سيخرجه منها بعد أن يقدم لهم دليلا على نجاحه ورغبته في الالتحاق بالجامعة الدولية التي نجح في مسابقة الدخول إليها.

ولج محمود المؤسسة العسكرية على أمل أن يخرج في صباح الغد مستندا على ملف طبي مزور وتدخل صديق والده لكنه انزلق إلى بعيد، يوم بعد يوم ينتظر حدوث المعجزة، لا صوت و لا نداء مع تنظيم عسكري صارم، محكم المنافذ، قوية قواعده، لا فرق فيها بين شاب والده صديق لضابط وبين شاب آخر لا صديق لأبيه، الفرق بين الجميع هو إيمانهم بحب الوطن.

أيقن محمود أن طموحه في الدراسة بالخارج قد ضاع، كما ضاعت منه مسابقات وطنية أخرى للتوظيف واستسلم لأمر واقع.

راح يمارس التدريبات العسكرية بانتظام وثقة.

ذات مساء شعر بإعياء وأحس بضعف، رافقه أحد زملائه إلى العيادة، بعد الفحص الطبي اكتشفت الطبيبة وجود بقع على الجلد وقامت بتحاليل وأشعة وراحت تكون الملف الطبي بعناية.

كبرت الهواجس في نفس محمود وامتزج الرعب من المرض مع

الابتهاج بالانفراج؛ قد يكون هذا سببا في خروجه من معسكر التجنيد.

مرت الأيام، أكدت الفحوصات أنها حساسية بسبب ملامسة أعشاب أثناء التدريبات، تتابعت الأيام والليالي، لا مفر من الخدمة الوطنية لأنها واجب و شرف.

أثناء استراحة له في البيت لبعض الأيام، أرادت الأم الاطمئنان على ولدها، رافق محمود والده إلى مصحة التحاليل الطبية و كشفت التحاليل عن مرض خبيث.

سادت أجواء رهيبة كدر وكرب، ارتمى محمود على سريره في ثنائية الإنسان المؤمن بقضاء الله، صبرا وتجلدا وخوفا وقلقا، لم يداعب النعاس أجفانه ولو لبعض اللحظات ليلا ونهارا، تخلى عن أحلامه الوردية مفاتيح المستقبل وراح يهدر الوقت في التفكير في حالته الصحية في كثير من الشجن والتفاؤل دعا الله أن ينجو من هذه العلة، انقضت عطلته وغادر البيت إلى الثُّكْنَة.

كذبت طبيبة العيادة العسكرية ادعاء المرض القاتل، وترددت الأصداء: إنهم يقولون هذا حتى يحتفظون بأكبر عدد من الشباب حتى المرضى، زملاؤه يعاملونه بشفقة، الكل يعامله بهدوء وحذر.

مرت شهور، اقترب العيد، رجع محمود إلى أسرته، فرحت أمه بقدومه ولم تتوقع أن يعود بهذا النفس والمعنويات المرتفعة وهو لم يخضع لعلاج ولا يتناول أدوية، قال والده: كنت أتوقع سوءا!

في يوم أطلت فيه شمس الصباح باسمة ارتاد محمود مصحة التحاليل الطبية لإكمال إجراءات أخرى، بمجرد أن ولج باب المصحة وأعلن عن اسمه، صاح الممرض و هو يركض يصعد إدراجا، قائلا: حكيم عاد المريض المقصود.

احتشد العمال والممرضون، كونوا حلقة، غموض وسط ضجيج واهتمام بالغ بحضوره، جلس في مقعد في قاعة الانتظار.

جاء الطبيب بمئزره الأبيض يحمل وثائق مبتسما معتذرا قائلا: "سلمت لك تشخيص شخص آخر، تشابه في الأسماء، ها هي الوثائق الخاصة بك تثبت حساسية بسيطة".

نظر محمود إلى ذراعيه وقال: لاحظت أن البقع قد اختفت.

أردف الطبيب: هل سامحتني؟

قال الأب: "أسامحك وأشكرك، الحمد لله أن ابني سليم.

ضم ابنه إلى صدره يذرف دموعا قائلا: "خشيت أن أفقدك".

قال محمود: "الصحة أريج الحياة، كنت أجحد هذا الفضل وأدعي المرض، حين أرجع بالثكنة أثبت للجميع أنني بصحة جيدة وأخدم وطني إلى آخر رمق في حياتي".

انصرف من المصحة مهرولا يصرخ بأعلى صوته: "لست مريضا، أنا بصحة جيدة، أنا قادم إليك يا دنـــيا".

● ❁ ● ❁ ●

دموع عبر الزمن

كنت أجري تحقيقا صحفيا مع فريق من زملائي الصحفيين حول آثار قلعة بني حماد في المسيلة، في قيلولة هادئة رأيت حميدة تجلس تحت شجرة البرقوق تأكل رغيفا ساخنا حضرته بنفسها و تشرب لبنا، سألتها:

" لماذا أنت وحدك هنا في سفح هذا الجبل؟"

رفعت رأسها، تنهدت وقالت : "قهر عناء، الحياة قاسية".

وواصلت تقول: "في متاهات ضيقة مشيت بخطى متثاقلة أتبع قدري المحتوم، زوجي عصبي لا يحترمني بل يذلني حد الضرب المبرح، خصام قذف أمام أولادي، أنت لا تعرفين قهر الرجال، أذكر بمرارة حين دخل البيت يوما ترافقه فتاة فاتنة، قال : إنها زوجتي الثانية سعدية.

كل ليلة أبيت باكية أناجي نجوم الليل أشكو لها عنف زوجي

وجبروته، تتبلل وسادتي بدموع الأسى، يؤنسني أطفالي الذين لم يروني إلا أمّا مقهورة يضايقها أن تقاسمها امرأة غريبة بيتها و متاعها.ط

سعدية لا تنجب، احتوت صغاري، راحوا يخدمونها دون مقابل، يبتعدون عني و يقتربون منها، نمو كزهور الأقحوان البرية الذابلة في عيشة البؤس و الحرمان.

ذات ليلة بائسة سمعت صراخا و عويلا، إنه مصرع زوجي، طعنه أحد الجيران بسلاح أبيض في نزاع حاد بين أهل الحي سببه ندرة ماء الشرب.

رحلت سعدية إلى بيت أخيها.

رحلت أنا إلى المدينة، اشتريت مسكنا هناك، بقيت وحيدة أحضن أولادي، كبيرهم عامر كلفته بمهمة الأب وسلمت له وكالة على أموال والده، أجرة شهرية بالعملة الصعبة، لم أدر إلا بعد وقت متأخر أنه كان ينفق هذه الأموال على أمه الثانية سعدية في حين إذا طلبت منه مبلغا لشراء ما يلزمني أو قلت له إنني مريضة أريد تكاليف فحص و تحاليل، أو عارية أرغب في ارتداء ثوب أنيق أو أحب أن ألبس حذاء جديدا و لو في الأعياد يصرخ في وجهي، يتأفف، يتعدى حدود الله لكني دوما أسامحه و أكتفي بألبسة بالية يتصدق بها علي الجيران و بعض الأقارب، في دوامة الحيرة جاثية على ركبتي خاشعة متضرعة إلى الله لعله يفرج كربتي، كدر، حيرة، آهات.

تزوج أبنائي كلهم، منهم من شيد طابقا في المبنى العائلي ومنهم من اختار منزلا منفردا.

بقيت ضائعة بين هذا و ذاك لا مكان لي في المنازل المتعددة والطوابق العالية".

مسحت حميدة دموعها المتساقطة على وجنتيها، حدقت في طويلا صامتة تتفرس عبراتي المتناثرة، رثيت لحالها فقلت: "الصبر يا أماه".

قالت بتجلد: "صابرة أدعو لأولادي بالخير، لا أريد منهم إلا غرفة متواضعة أستريح فيها من عناء النهار ، رجوت كل واحد على حدة غرفة هادئة أجمع فيها أغراضي، أضع فيها سريري وصوان ملابسي، للأسف لا صدى لندائي المتردد إلى عنان السماء يقولون بصوت واحد كل منازلنا ملكا لك، لكن كلما نزلت عند أحدهم طردتني زوجته.

أتذكر بندم ما حدث حين طلبت مبلغا لأعالج ضغط الدم المرتفع على مستوى العينين، حذرني الأطباء من تصاعد الموقف الذي يؤدي إلى العمى، سمع أولادي تحذير الطبيب و لم يكترثوا، طرقت أبواب فلذات كبدي واحدا تلو الآخر ، الجميع يردد أموالك مع من فضلته ومنحته التصرف في أموال والدنا.

حين رجوت "عامرا" أن يعالجني أنبني، تجاهل أمومتي، لا أنسى حين تدخلت زوجته وهي تقول عندك أبناء آخرون، طردني عامر، دفعني بقوة وهو يردد : أخرجي من بيتي.

انصرفت ألبس فرد حذاء، تركت الأخرى بالداخل، قدم حافية وأخرى بحذاء وسط الشوارع من رصيف إلى آخر".

كنت أتابع حديثها بحسرة قلت بكثير من الشجن: "منظر أمّ فقدت الوقار، أنجبت كثيرا من الأولاد الذكور نسوها وانشغلوا عنها، بل ظلموها وشردوها.

أردفت حميدة بوجع : "ركبت سيارة أجرة أذرف عبرات الذل والهوان، جئت إلى الريف منذ يومين لم يسأل عني أحد، كل واحد يعتقد أنني في بيت الآخر، نزلت في بيتي القديم المهجور منذ أكثر من عشرين سنة".

قالت بحنق: "الحياة قاسية يا ابنتي".

ربت على كتفها أواسيها وقلت: "ابتسمي واذكري الله".

ابتسمت وقالت: "ما زلت أطالب بحقي، أقصد بأدنى حقوقي غرفة صغيرة في البيت العائلي".

واصلت تقول: اشتقت إلى مرآتي الصغيرة، مشطي، أغراضي الخاصة وفرد حذائي، لم أحضر إلا هاتفي النقال".

أخذته من يدها المثلجة المرتجفة، رحت أبحث في دفتره عن أسماء أبنائها وجدت اسم عامر، طلبت منها أن تختبئ بعيدا في البستان الواسع، ضغطت على رقمه، كلمته قائلة: "صدمت أمكم بسيارتي، طلبت لها سيارة الإسعاف، إن كنتم تريدون رؤيتها أسرعوا إلى بيتكم القديم

بالريف هي تحتضر".

لما وصلوا قلوبهم جريحة تنزف دما، قلت: "سبقكم رجال الإسعاف هي الآن في مستشفى المدينة".

قال فاتح صغيرهم متهورا: "لو لم تنجُ أمي سأقتلك".

ابتسمت بثقة قائلة: "لم تحافظوا على والدتكم، دستم على مشاعر الأم الوفية، تريد البقاء معكم في منازلكم ورفضتم".

اشتد حوار حاد بيننا، أدافع عنها وأتهمهم بإهمالها وعدم الاهتمام بها، يبرؤون أنفسهم كل واحد بطريقته.

حميدة تستمع وتجهش بالبكاء، امتزجت تنهداتها بحفيف أوراق أشجار المشمش، خرجت من مخبئها، هرع نحوها أبناؤها يعانقونها مبتهجين بسلامتها، قالت: "أرغب في الاستقرار في غرفة خاصة".

قاطعها فاتح: "سأجهز لك غرفة في منزلي".

قال عامر: "بل أنا الذي أجهز لها غرفة في الطابق السفلي في بيت العائلة".

بدمعة وابتسامة، قالت: "بارك الله فيكم، أنا أحتمي بكم أنتم درعي وزادي وأملي".

واصل عامر يقول: "هي مفاجأة لك يا أماه، كنت قد سجلت اسمك في قرعة الحج وفزت، أنت موعودة برؤية بيت الله الحرام قريبا".

● ❁ ● ❁ ●

معابر دافئة

مشيت حافية القدمين على أشواك تارة وعلى زجاج تارة أخرى، أتبع حلما سرمديا ساكنا في أعماقي، أجتاز ممرات ضيقة بخوف وقلق و قليل من التفاؤل، في غلس الحياة القاسية ينمو بداخلي الشجن والأمل في ثنائية متصارعة تؤرقني.

أحمل بيميني قنديلا تمزق فتيله، يبرق في معصمي سواري الذهبي كلما أرسل فيه الفتيل الممزق نورا فيبين لي ضوء ضئيل، استأنس بظلي الذي يتبعني طورا ويسبقني أطوارا، مشاعري المرهفة متألمة وفؤادي الحزين ينزف دما في دوائري الكئيبة، بوجع أمضي خطوة تلو خطوة متثاقلة بائسة، كانت الإرادة والإيمان بالله متاعي، أستغفر الله وأذكره فيتجدد الأمل ويكبر الصبر بذاتي، لم أفكر في الالتفات إلى الوراء.

اجتزت الدروب الوعرة، مضيت على معابر دافئة إلى الحلم الوردي، ولجت عالما ساحرا مخضلا بروائح العنبر وعطر الزهور، تنبض فيه الحياة الهادئة، سماؤه صافية، ينيره ضوء القمر وتبتسم فيه ملايين النجوم.

● ❀ ● ❀ ●

المحتويات

القصة	الصفحة
مقدمة	٤
خلف ستور الدّجى..	٥
الوطن والوطن الآخر..	١٤
حكايات بنفسج	٢٠
فيروز..	٢٧
على ضفاف الحلم..	٣٤
التحدي امرأة	٣٩
حين يهمس السراب..	٤٦
عنادل السلام	٥٢
وفاء	٥٨
الحقيقة الموقوتة..	٦٤
الخطيئة..	٦٩

القصة	الصفحة

الشك الممزق.. ..... ٧٢
نبض الذاكرة.. ..... ٧٧
هروب رتاج.. ..... ٨٣
طوح من فولاذ ٨٩
الانتقام الخاطئ ٩٥
أريج الحياة ١٠٠
دموع عبر الزمن ١٠٤
المحتويات ١١٠